15/3/2026

الوريث والمنتقم

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم

رواية من تأليف:

جود الحمصي

(ايهم بسام فاعور)

"لكل قناع وجه.

ولكل قصة كاتب.

أما أنا... فوجهي

هو الحقيقة،

وقصتي هي

الثأر."

تعريف صغير عن قصتنا

داخل جدران إمبراطورية "الموراتي"، حيث الدم عملة والولاء وهم، تُلقى المحامية لين الخطيب في أحضان الوريث الغامض "رايان". ما بدأ كابتزاز لإنقاذ شقيقها، تحول إلى رحلة تطهير عبر ماضٍ دفين في أزقة براغ، حيث يكمن "البارون"، صانع الوحوش ومعلم رايان الأول. في هذه الملحمة، لا ينتصر الحب وحده؛ بل يدفع "الوريث" ثمن إنسانيته، ويدفن أشباحه القديمة، ويربي عائلة على أنقاض الكراهية. لكن السلام هش، فمن قلب الظلم القديم، يخرج "جود الحمصي" بقناعه الأسود، شاهدًا حيًا على أن جراح الماضي لا تندمل، وأن ثمن الخيانة لم يُدفع بعد. هذه ليست مجرد قصة حب، بل أسطورة عن أن بعض العائدين من الموت لا يسعون للسلطة، بل للعدالة.

الفصل الأول:المكالمة

رنّ الهاتف في تمام الثانية عشرة بعد منتصف الليل.

تلك الساعة التي تصمت فيها المدينة، حين تتوقف أبواق السيارات وتخفت أصوات الجيران، وحين يفترض أن يكون العالم كله نائمًا. لكن "لين" لم تكن نائمة.

كانت جالسة على أريكتها الجلدية، كوب قهوتها الباردة على الطاولة، وملف قضية قديم مفتوح على حجرها. عيناها مثقلتان، لكن عقلها يرفض الاستسلام للراحة.

نظرت إلى الشاشة. رقم مجهول. ليس غريبًا في مهنتها كمحامية، لكن في هذا التوقيت؟ شيء ما شدّ أعصابها قبل أن ترد.

"نعم؟"

صمت للحظة. ثم صوت رجل أجش، هادئ كالموت:

"الآنسة لين الخطيب؟"

"من المتحدث؟"

"شخص يطلب خدماتك القانونية. غدًا، الساعة التاسعة صباحًا. سيارة سوداء ستنتظرك أمام منزلك. لا تتأخري."

"انتظر. أنا لا أوافق على أي شيء قبل أن أعرف من أنت، ومن هو الموكل، وما هي القضية..."

"ستعرفين كل شيء غدًا."

انقطع الخط.

حدّقت في الهاتف طويلًا. دقات قلبها كانت أسرع مما كانت عليه. ليس خوفًا، بل ذلك الإحساس الغريب الذي يسبق العاصفة. شيء ما في ذلك الصوت، في تلك النبرة الآمرة التي لا تقبل النقاش، قال لها إن هذه ليست مكالمة عادية.

نهضت، اتجهت إلى النافذة المطلة على الشارع الهادئ.

مصابيح الشارع تلقي ضوءًا باهتًا على الرصيف.

لا أحد.

لكنها شعرت فجأة أن أحدًا يراقبها.

في التاسعة تمامًا، كانت واقفة أمام باب منزلها.

ارتدت بدلتها الرسمية، جمعت شعرها الأسود

في كعكة مشدودة، ووضعت نظارتها ذات

الإطار الذهبي. درعها في قاعات المحكمة.

السيارة السوداء كانت هناك. مرسيدس فاخمة،

زجاجها معتم، محركها يعمل بهدوء. فتح لها

السائق الباب الخلفي دون كلمة واحدة. رجل

ضخم، بدلة غامقة، نظارات شمسية رغم غيوم

السماء.

"إلى أين؟" سألت.

لم يجب. دخلت السيارة، وأغلق الباب خلفها.

المقاعد الجلدية كانت تفوح منها رائحة المال

والنفوذ. شيء لم تعتد عليه.

تحركت السيارة في شوارع المدينة.
ليست الطرق التي تعرفها. انعطفت
يميناً، يساراً، دخلت أحياء أضيق.
المصانع القديمة. المستودعات
المهجورة. حواجز حديدية صدئة.
قلبها بدأ يقرع أضلعها.
أريد أن أعرف إلى أين نتجه.
" هذا ليس حيًا تجاريًا."
صمت.
أخرجت هاتفها. لا إشارة. كأنها دخلت
عالمًا آخر، عالمًا لا قوانين فيه ولا
حماية.
ثم، فجأة، توقفت السيارة.
كان المبنى أمامها ضخمًا، رماديًا، بنوافذ
مسدودة. ليس مخزنًا، ليس مصنعًا. بدا
كحصن. رجلان يقفان عند الباب،
بدلات داكنة، أسلحة مخبأة تحت
ستراتهما، أعينهما

تفحصها كما تفحص الذئاب فريسة.

"تفضلي، آنسة خطيب."

نزلت. الريح كانت باردة، تحمل رائحة الحديد والصدأ والموت. تبعها الرجلان إلى الداخل.

الممرات كانت مضاءة بأضواء خافتة، الجدران عارية. كل خطوة كانت ترن كأنها آخر خطوة في حياة أحدهم. فتح لها باب في نهاية الممر، ودخلت.

غرفة واسعة، أشبه بصالة اجتماعات. طاولة خشبية طويلة، مقاعد جلدية، وثريات كريستالية تبدو في غير مكانها بين هذه الجدران الباردة. وفي نهاية الطاولة، جلس رجل.

ليس مجرد رجل.

كان شابًا في أوائل الثلاثينيات. بدلة سوداء مفصلة، قميص أبيض مفتوح من الأعلى، يكشف عن جزء من وشم على صدره.

شعر داكن، عينان رماديتان تشبهان سماءً قبل الإعصار. نظر إليها كما لو كان يرى من خلالها، لا إليها.

"تفضلي بالجلوس، آنسة الخطيب."

جلست، تحاول أن تبقي تنفسها منتظمًا.

"من أنت؟ ولماذا أنا هنا؟"

مال رأسه قليلاً، ثم ابتسم. ابتسامة خفيفة، خالية من الدفء.

"اسمي رايان الموراتي."

تجمد الدم في عروقها.

الموراتي. الاسم الذي يهمس به الناس في الظلام. العائلة التي تملك نصف المدينة والنصف الآخر يملكونه بالخوف. إمبراطورية بنيت على الدم والمخدرات والموت.

والرجل أمامها... هو الوريث.

"يبدو أنك سمعتِ عني."

"ماذا تريد؟" صوتها كان أقسى مما توقعت.

"مباشرة. أحب ذلك." انحنى إلى الأمام، مرفقاه على الطاولة، عيناه لا تتركان عينيها. "هناك رجل. اسمه كريم ناجي. تاجر أسلحة، وغد من الدرجة الأولى، وقريبًا... سيكون في قبضة الشرطة."

وما علاقتي بذلك؟

"ستكونين محاميته."

حدقت فيه. "أنا لا أعمل في الدفاع عن تجار السلاح."

ستعملين الآن.

وإن رفضت؟

ابتسم مجددًا. لكن هذه المرة، الابتسامة كانت أبرد.

لن ترفضي.

ثم أخرج ملفًا من درج الطاولة، ودفعه نحوها.

كان رقيقًا،

لكنه بدا كقنبلة موقوتة. فتحته.

صور. وثائق. شقيقها الأصغر "مالك"، الذي تظن أنه طالب هندسة في جامعة خاصة...

في صور مع رجال لا يجب أن يعرفهم. في أماكن لا يجب أن يكون فيها. وعليه دين.

مبلغ كبير. كبير لدرجة أن بيعه للأعضاء لن يسدده.

مالك...

"أخوكِ الصغير مشغول أكثر مما تتصورين.

ولسوء حظه، اختار الأصدقاء الخطأ.

والأهم... الدائنين الخطأ."

رفعت عينيها إليه. الغضب، الخوف،

الكراهية، كلها اختلطت في نظرة واحدة.

ماذا فعلتم له؟

"لا شيء. بعد." وقف، مشى ببطء نحو

النافذة المسدودة،

وظهره إليها. "كريم ناجي سيُعتقل بعد ثلاثة أيام بتهمة تهريب أسلحة. ستكونين محاميته. وستتأكدين من إطلاق سراحه بكفالة

وإن فعلت؟

"دين أخوك سيُنسى. وكأنه لم يكن

وإن فشلت؟

استدار. وجهه الآن في الظل، لكن عينيه كانتا نجمتين باردتين في العتمة.

لا تفشلي

عندما خرجت من المبنى، كانت الشمس قد اختفت خلف الغيوم. جلست في المقعد الخلفي للسيارة، الملف في يديها، وعقلها يدور.

لم تكن مجرد محامية تؤدي عملها بعد الآن. كانت دمية في لعبة أكبر منها. لعبة الوريث.

نظرت من النافذة. المدينة لم
تعد كما كانت. كل زاوية فيها
بدت مهددة. وكل خطوة
تخطوها شعرت أنها مراقبة.
وفجأة، أدركت شيئًا واحدًا.
لم تكن لتخسر.
ليس في هذه اللعبة. ولا أمام
رايان الموراتي

يتبع...

الفصل الثاني: الوجه الآخر

السيارة تبتلع الشوارع. والمقعد الخلفي أصبح قفصًا.

لين ضغطت الملف على صدرها كأنه درع. أناملها ترتجف. ليس من البرد. بل من الإدراك البطيء، الزاحف، أن حياتها قبل ساعة لم تعد موجودة. سرقوها. بابتسامة باردة وعينين رماديتين.

"مالك..."

اسم أخيها الصغير كان شوكة في حلقها. الولد الذي ربته بعد موت والديهما. الولد الذي كانت تظنه طالب هندسة، غارقًا في كتبه ومشاريعه. ها هو الآن... غارق في شيء آخر. دين. أصدقاء خطرون. وصورة أمسكها رايان المواراتي كخنجر على عنقها.

كيف لم أره؟ كيف غفلت؟

السائق لم ينطق بكلمة. عيناه على الطريق، جسده كتمثال من لحم وبارود. هي لم تعد تسأل.

فهمت القاعدة الأولى في هذا العالم
الجديد: الأسئلة ترف. والأجوبة رصاص.
المدينة من خلف الزجاج المعتم بدت
مغسولة بالرماد. مبانيها شاهقة لكنها بدت
كشواهد قبور. كل إشارة مرور كانت نبض
قلبها المتسارع. تريد الركض. الصراخ.
ضرب شيء ما. لكنها ظلت جامدة، تتقن فن
التماسك الذي تعلمته في قاعات المحكمة.
هناك، كانت الكلمات سلاحها. هنا... هنا
القواعد مختلفة.
السيارة توقفت.
أمام منزلها.
كيف عرفوا عنوانها؟ سؤال غبي. بالطبع
يعرفون. هم يعرفون كل شيء.
"المحامية خطيب."
صوت السائق كان كصوت باب حديدي
يُغلق.
"غدًا. الساعة الثامنة صباحًا. ستزورين كريم
ناجي في الحجز. التعليمات داخل الملف."

فتحت الباب دون كلمة. الهواء البارد لطم وجهها.
لكنه لم يستطع إزالة ثقل النظرة الرمادية التي ظلت عالقة في عقلها.
عندما دخلت شقتها، أغلقت الباب بالمفتاح. ظهرها للخشب، انزلقت ببطء حتى جثمت على الأرض.
وعندها فقط... انهارت.
الدموع لم تدم طويلاً. الدموع رفاهية لا تملك وقتها.
نهضت، خلعت حذاءها، وتوجهت إلى غرفة مالك.
كانت مغلقة. دائمًا مغلقة. قالت لها نفسها إنه يحتاج خصوصيته. لكن اليوم... فتحتها دون استئذان.
الغرفة كانت نظيفة. مرتبة. سرير مرتب، مكتب عليه حاسوب محمول، كتب دراسية. كل شيء بدا طبيعيًا. مخادعًا. كالحياة التي كانت تعيشها قبل ساعتين.
جلست على كرسيه. فتحت حاسوبه. كلمة مرور.
جربت تاريخ ميلاده. لم يعمل. جربت اسم والدتها المتوفاة. فتح.
داخل الملفات، وجدت ما كانت تخشاه.

صور. رسائل. تهديدات. مالك لم يكن مجرد طالب غارق في الديون. كان غارقًا في شبكة. حاول الاقتراب من عالم يظنه براقًا، فابتلعته أسنانه.

"يا إلهي... ماذا فعلت بنفسك؟"

ثم تذكرت وجه رايان المووراتي. نظرته وهي تفتح الملف. كان يعرف أنها ستجد كل هذا. كان يعرف رد فعلها قبل أن تعرفه هي. كأنه يدرسها. كأنها كتاب مفتوح يقلب صفحاته بإصبع هادئ.

لن أكون لعبة بيدك.

هذا ما قالته لنفسها. لكن السؤال الأصعب كان يطرق جمجمتها: هل هذا حقيقي؟ أم أنها تعيش وهمًا آخر؟

الفصل الثالث: القفص الذهبي

في اليوم التالي، الساعة الثامنة تمامًا، كانت لين تقف أمام قسم الشرطة المركزي. بدلتها اليوم أكثر حدة. بنطلون أسود، وسترة أنيقة، نظارتها الذهبية. درعها. لكنها اليوم شعرت أن الدرع رقيق. زجاجي. قد يتحطم في أي لحظة.

دخلت القسم. رائحة القهوة الرديئة، أصوات الهواتف، همهمات المحققين. عالمها القديم. لكنه اليوم بدا غريبًا.

كأنها تراه من خلف حاجب شفاف، منفصلة عنه.

"أنا المحامية لين الخطيب. أتيت لمقابلة موكلي، كريم ناجي."

الضابط نظر إليها ببرود، ثم قادها عبر ممرات ضيقة إلى غرفة الزيارة. جدران خرسانية، إضاءة فلورية تصبغ الوجوه باللون الرمادي، طاولة معدنية باردة، كرسيان متقابلان. جلست

انتظرت.

الباب فُتح. ودخل كريم ناجي.

لم يكن كما تخيلته. ليس تاجر السلاح النمطي، البدين، ذا الأسنان الذهبية. كان رجلاً في الأربعين، أنيقًا، نحيفًا، له عينان ذكيتان كعيني ثعلب. جلس بهدوء. ابتسم.

"آنسة خطيب... شرف لي."

"لست هنا للشرف، سيد ناجي. أنا هنا لأخرجك بكفالة."

ضحك. ضحكة خفيفة، هادئة، كأنه في مقهى وليس في غرفة تحقيق.

المواراتي اختاروكِ بعناية، كما يبدو."

تصلبت للحظة. الاسم علق في الهواء

"لا أعرف عما تتحدث."

"بالطبع لا تعرفين." انحنى إلى الأمام، صوته صار همسًا. "اسمعيني جيدًا، آنسة خطيب. أنا مجرد قطعة في هذه اللعبة. وأنتِ أيضًا. الفرق الوحيد... أنا أعرف قواعد اللعبة. وأنتِ لا تزالين تتعلمين."

"وما هي القواعد؟"

"القاعدة الأولى: رايان المواراتي لا يخسر أبدًا. القاعدة الثانية: لا تثقي بأحد، حتى نفسك. والقاعدة الثالثة سكت. نظر خلفها. إلى المرأة. إلى الزجاج العاكس. ثم عاد إليها.

"...القاعدة الثالثة: لا تسألي عن البارون."

تجمدت.

"من... من هو البارون؟"

لكن كريم ناجي ابتسم ابتسامته الثعلبية، ومال إلى الخلف.

"اخرجيني من هنا أولاً. بعدها... ربما أخبرك."

خرجت من قسم الشرطة بسرعة. عقلها يدور. كلمات كريم ناجي كانت شظايا زجاج في دمها.

البارون.

اسم غامض. عنوان لشيء أكبر. شيء يخافه حتى رايان المواراتي؟ أم أنه هو نفسه البارون؟ لا. كريم ناجي تحدث عنه ككيان منفصل. كخطر منفصل.

سيارة سوداء أخرى كانت تنتظرها. نفس السائق. نفس النظرة الفارغة.

"سيدي يود رؤيتك."

"ليس لدي وقت. أنا أعمل على القضية..."

"سيدي يود رؤيتك. الآن."

كلمة "الآن" نزلت عليها كحكم محكمة. لا استئناف.

دخلت السيارة.

هذه المرة، لم تأخذها إلى المستودعات. أخذتها إلى قلب المدينة. إلى برج زجاجي شاهق، لامع، يخترق السماء كإبرة من نور. واجهة شركة "المواراتي القابضة" . الشركة القانونية. الوجه النظيف للإمبراطورية القذرة.

المصعد صعد إلى الطابق العلوي. عند فتح الأبواب، كانت في بهو فخم. رخام أبيض، لوحات تجريدية، سكرتيرة جميلة تعمل على حاسوبها كأنها في قصر ملكي.

"تفضلي، سيدي بانتظارك.

فتحت الباب الضخم. ودخلت مكتب رايان الموراتي.

كان واقفًا أمام نافذة بانورامية، المدينة تحت قدميه كخريطة حية. بدلته اليوم زرقاء داكنة، قميصه أبيض، وربطة عنق حريرية فضفاضة حول عنقه. في يده كأس كريستال، فيه سائل عسلي. استدار ببطء.

"مرحبًا مجددًا، آنسة خطيب."

"ماذا تريد هذه المرة؟"

"مباشرة كالعادة. أحب ذلك حقًا."

وضع الكأس على المكتب. مشى نحوها. كل خطوة كانت تزيد ضربات قلبها. توقف على مسافة قصيرة. قريبة جدًا. كانت تشم رائحة عطره. خشب الصندل. ودخان. وقليل من الخطر.

تحدثتِ مع كريم ناجي. ماذا قال لك؟"

"سألته عن القضية. فقط.

"تكذبين.

نظرته اخترقت دفاعها. عيناه الرماديتان كانتا ماسحتين ضوئيتين، تقرآن كل ذبذبة في وجهها.

"لا أكذب. أنا..."

قاطعها برفع يده. هادئة. بطيئة. لكنها أمر. ثم وضع إصبعه تحت ذقنها. رفع وجهها برفق، لكن بقوة خفية.

"عندما تسألين... اسأليني أنا. ليس كريم ناجي. ليس الشرطة. ليس أحدًا غيري."

كانت أنفاسها مضطربة. المسافة بين وجهيهما اختزلت. عيناه، فمه، الوشم المختفي تحت قميصه، كل تفصيلة صارت مرئية. شعرت بأن عقلها يفرغ. لم يبق إلا صوته، منخفضًا، هادئًا، كرصاصة تدحرجت على طاولة.

"اسمعيني، لين."

نطق اسمها. ليس "آنسة خطيب" . اسمها. لأول مرة. الكلمة في فمه كانت سكيناً ملفوفاً بالحرير.

"أنا لا أثق بأحد. لكني أريد أن أثق بك. لا تخذليني."

أفلت ذقنها. تراجع. عاد إلى النافذة. ظهره لها. كتفاه عريضان يحجبان أفق المدينة.

"ستراجعين كريم ناجي غدًا. ستخرجينه بكفالة. وبعدها... سنتحدث عن أخيكِ."

خرجت من المكتب وهي تشعر أن الأرض تميل. ليس خوفًا. ليس انجذابًا. شيء ثالث. شيء ليس لها اسم بعد. شيء يولد في الفراغ بين الكراهية وال... لا، لا يمكن. لا تريد إكمال هذه الجملة حتى في عقلها.

في السيارة، فتحت الملف مجددًا. وثائق كريم ناجي. تفاصيل القضية. أدلة... فجأة تجمدت.

في زاوية الملف، صورة صغيرة. قديمة. بالأبيض والأسود. رجلان يقفان معًا. أحدهما كان أصغر سنًا، عيناه الرماديتان تثقبان الكاميرا. رايان. ربما قبل عشر سنوات.

والرجل الآخر... رجل في الخمسين، بعينين غائرتين، وندبة على خده الأيسر. يرتدي معطفًا طويلًا، أسود. وتحت الصورة، كُتب بالحبر: "البارون — براغ، 2014."

"البارون..."

همست بالكلمة. شعرت أنها فتحت بابًا. بابًا ثقيلًا، صدئًا، خلفه شيء لا تريد رؤيته. لكنها رأت. الندبة على خده. العينان الغائرتان.

هذا الرجل، أينما كان... كان مفتاح كل شيء.

وكان رايان يعرفه.

بل أكثر من ذلك. كانا معًا. في براغ. قبل عشر سنوات. عندما كان رايان شابًا. قبل أن يصبح الوريث.

ماذا حدث في براغ؟

الهاتف في حقيبتها رن فجأة. رسالة. من رقم مجهول.

"لا تسألي عن البارون. أبدًا. هذا تحذير أول وأخير."

نظرت حولها. الشارع مزدحم. ناس يمشون. سيارات تمر. حياة طبيعية

لكنها الآن، بعد كل ما حدث، كانت متأكدة من أمر واحد:

في مكان ما، بين هذا الزحام، كانت عينان
تلاحقانها. ربما عينا رايان الموراتي. ربما
عينا شخص آخر. شخص أكثر رعبًا.
شخص لا يُذكر اسمه إلا همسًا. البارون.
طيَّت الرسالة. لم تحذفها. ستحتاجها.
كدليل. كسلاح. كأي شيء.
لكنها الآن فهمت. اللعبة ليست بينها
وبين رايان فقط. هناك لاعب ثالث.
مختبئ في الظلال. يحرك الخيوط.
ويحذر.
وكما قال كريم ناجي... هي لا تزال
تتعلم القواعد.
في شقتها تلك الليلة، لم تنم.
جلست على أريكتها، أوراق الملف متناثرة
حولها، كوب قهوة بارد، عيناها محمرتان
من التحديق في الصورة القديمة.
الرجلان. الشاب والمسن. الحاضر والشبح
رايان الموراتي والبارون.

ما الذي يجمعهما؟ ولماذا تحولت
معرفتهما إلى سر دفين؟
وما علاقة كل هذا بكريم ناجي، الرجل
الذي يفترض أن تكون محاميته؟
أسئلة بلا إجابات. أو ربما إجاباتها في فم
رجل بعينين رماديتين، يمسك ذقنها،
ويهمس باسمها كتهديد... أو كوعد.
أغلقت عينيها. حاولت أن تنام. خلف
جفنيها، صورتان تتقاتلان:
رايان وهو يرفع ذقنها. والبارون وهو
يبتسم ابتسامة رجل يعرف أكثر مما
يقول.
وفي عمق عقلها، صوت كريم ناجي
يتردد:
"لا تسألي عن البارون."
لكنها سألت. والآن...
الجواب قادم.
يتبع...

الفصل الرابع:

الدم الأول

لم تنم تلك الليلة.

لكنها نهضت. ارتدت بدلتها. مشطت شعرها. وضعت نظارتها الذهبية.

درعها. الذي صار الآن أثقل من الحديد.

في المرآة، رأت امرأة لا تشبهها. عيناها غائرتان. فكها مشدود. شفتاها جافتان.

امرأة دخلت عالمًا لا تعرفه، وتظن أنها تستطيع الخروج منه.

في الثامنة تمامًا، كانت في قسم الشرطة.

هذه المرة لم تنتظر. مشت بخطوات ثابتة، كعب حذائها يقرع الأرض كدقات طبلة حرب. كانت تحمل في حقيبتها وثائق الإفراج. الضمانات. التوقيعات. كل ما يلزم لإخراج رجل لا تريد لمسه.

كريم ناجي كان ينتظرها في غرفة التحقيق نفسها. ابتسامته الثعلبية نفسها. لكن اليوم، كان هناك شيء مختلف في عينيه. شيء أقرب إلى... القلق؟

"آنسة خطيب. أراكِ عدتِ."

"أنا هنا لأخرجك. فقط."

"فقط." ضحك بصوت خافت. "لا يوجد شيء اسمه 'فقط' في عالم المواريث."

وضعت الأوراق أمامه. "وقع هنا. وهنا. ستحصل على إطلاق سراح مشروط. جلسة المحكمة بعد أسبوعين. حتى ذلك الحين... أنت حر."

نظر إلى الأوراق. ثم إليها. عيناه تفحصانها كما فحصها رايان في ذلك المكتب.

"سألوكِ عني. صحيح؟"

تجمدت.

"الوريث. سألكِ ماذا قلتُ لك."

لا أعرف عما تتحدث."

"بالطبع تعرفين." انحنى إلى الأمام. صوته صار همسة. "وقلتِ لهم... لا شيء.

صحيح؟"

صمتت

"جيد. لأنكِ لو كنتِ قلتِ شيئًا... لما كنتِ هنا الآن. كنتِ ستكونين... في مكان آخر."

"أين؟"

لم يجب. وقع الأوراق. وقف. ابتسم ابتسامته الأخيرة قبل أن يخرج من الغرفة.

"إلى اللقاء، آنسة خطيب. سنلتقي في المحكمة."

ثم رحل. وبقي وجهه معلقًا في الهواء أمامها. وعبارته الأخيرة. وعيناه.

خرجت من القسم. الشارع كان صاخبًا. سيارات. ناس. حياة. لكن شيئًا ما كان خطأ.

صوت.

صفير.

ثم... الانفجار.

زجاج القسم تهشم. صراخ. دخان أسود يملأ الشارع. أجساد تتراكض. رائحة بارود ودم.

لين وجدت نفسها على الرصيف، أذناها تطنان، عيناها تدمعان من الدخان. حاولت النهوض. ساقاها ترتجفان. في فمها طعم معدني. دم؟ لا. تراب. زجاج.

نظرت حولها.

سيارة كريم ناجي... كانت كتلة من لهب. الزجاج المتناثر. المعدن الملتوي. وفي الداخل... لم ترَ شيئًا. فقط نار. نار تأكل كل شيء.

"ساعدوني!"

صرخت. لم تسمع صوتها. أذناها ما زالتا تصفّران. ركضت نحو السيارة. لكن أحدهم أمسكها. بقوة. جذبها إلى الخلف.

"لا!"

قاومت. لكن الذراعين كانتا حديديتين.

التفتت. وجدت عينين رماديتين.

رايان.

كان هناك. في الشارع. وسط الدخان والصراخ.
بدلته الزرقاء ملطخة بالسخام. وجهه جامد كقناع موت. أمسكها من كتفيها. قرب فمه من أذنها.
"اخرجي. الآن."
"لكن... ناجي... السيارة..."
"انتهى."
سحبها. بعيدًا عن اللهب. عن الجثث. عن كل شيء. ساقاها لم تعد تقوى على المقاومة. تركته يسحبها إلى زقاق جانبي. إلى سيارة سوداء بباب مفتوح. دفعها إلى الداخل. قفز خلفها. صرخ على السائق:
"انطلق!"
في السيارة، جلسا متقابلين. أنفاسها متقطعة. يدها ترتجف. عيناها مثبتتان على بقعة دم على كم سترتها. دم من؟ لا تعرف.
أما هو... كان هادئًا. هادئًا جدًا. أخرج منديلًا أبيض من جيبه. بلّله بماء من قارورة صغيرة. مدّ يده إليها.
"وجهكِ."
"ماذا؟"
"وجهكِ مليء بالتراب."

أمسكت المنديل. أصابعها اصطدمت بأصابعه. برودة. صلابة. شعرت بشيء يسري في جلدها. كهرباء. أو خوف. أو كلاهما.

مسحت وجهها. المنديل صار رماديًا.

نظرت إليه.

"أنت... كنت هناك. كيف؟"

"لم أكن بعيدًا أبدًا."

"كنت تراقبني؟"

"أحميكِ."

"من؟"

صمت. نظر من النافذة. فكه مشدود. عضلات رقبته متوترة. ثم قال بصوت خفيض:

"من البارون."

سقط الاسم كحجر في بئر. ارتد صداه في صدرها. البارون. مجددًا. دائمًا. في كل مكان.

"من هو؟ لماذا يريد قتل كريم ناجي؟"

ناجي كان سيتحدث."

"عن ماذا؟"

"عن براغ."

الكلمة علقت في الهواء. براغ. الصورة القديمة. الرجلان. رايان الشاب. والرجل ذو الندبة.

"ماذا حدث في براغ؟"

استدار إليها. عيناه الآن ليستا باردتين. فيهما شيء آخر. شيء قديم. مدفون. جرح لم يلتئم.

"شيء... لا يمكن إصلاحه."

"أخبرني."

"لا."

"أنا جزء من هذه اللعبة الآن. لي الحق أن أعرف!"

انتفض فجأة. أمسك معصمها. قوة قبضته جعلتها تلهث. وجهه اقترب. أنفاسه على وجهها. صوته صار هسيسًا حادًا:

"ليس لكِ حق في شيء. أنتِ هنا لأني أردتكِ هنا. أنتِ تتنفسين لأني أسمح لكِ بذلك. لا تختاري معارك لا تستطيعين ربحها."

ثم رأت شيئًا. للحظة. في عينيه. تحت
الغضب. تحت الجليد. شيء مكسور.
شيء يخاف. رايان الموراتي... خائف؟
أفلت معصمها. تراجع. صوته عاد هادئًا.
"سنذهب إلى مكان آمن. ستبقين هناك.
حتى تنتهي المحكمة. حتى تنتهي كل
هذه الفوضى. وبعدها... ستنسين كل
شيء."
" وإن لم أنسَ؟"
نظر إليها. طويلاً. ثم قال:
" إذن... ستصبحين مشكلتي."
السيارة دخلت بوابة حديدية ضخمة.
خلفها، قصر. ليس مجرد منزل. قصر
حجري قديم، تحيط به حدائق شاسعة،
ونوافير مضاءة، وأشجار عمرها مئات
السنين. مكان لا ينتمي إلى هذا العالم.
أو ربما... لا ينتمي إلا له.

أين نحن؟"

"منزلي."

نزل من السيارة. مدّ يده إليها. ترددت.

لكنها أمسكتها. أصابعه أغلقت على يدها

بقوة. ليس بخشونة. بشيء آخر. شيء

يقول: أنتِ تحت حمايتي. سواء أحببتِ أم

لا.

دخلا القصر. الداخل كان فخمًا. صامتًا.

جدران حجرية، لوحات زيتية، سجاد

فارسي. لكنه كان باردًا. كأن الروح

غادرته منذ زمن. خطواتهما كانت ترن

في الأروقة الفارغة.

"ستنامين في الجناح الشرقي. الخادمة

ستريكِ إليه. لا تغادري. لا تتحدثي مع

أحد. لا تسألي أسئلة."

"أنا سجينة؟"

توقف. استدار. نظر إليها تحت ضوء

الثريا البلورية. ظلال وجهه جعلته يبدو

أكبر. أقدم. أكثر خطرًا.

"لا. أنتِ... استثمار."

ثم رحل. وخطواته ابتعدت في الممر
الطويل. وبقيت هي واقفة. تحت الثريا.
في قصر الرجل الذي يملك حياتها.
وربما... موتها.
في غرفتها تلك الليلة، جلست على سرير
كبير جدًا لشخص واحد. الغرفة كانت
جميلة. أكثر من جميلة. جدرانها بيضاء،
نافذتها تطل على الحديقة، ستائرها من
حرير. لكنها شعرت بأنها في زنزانة.
زنزانة ذهبية.
أخرجت هاتفها. لا إشارة. مجددًا. كأن هذا
المكان يبتلع كل اتصال بالعالم الخارجي.
لكنها وجدت شيئًا آخر.
في درج الطاولة المجاورة للسرير، كان
هناك دفتر. دفتر جلدي أسود. قديم.
متآكل الحواف. كتب على غلافه بحروف
ذهبية:2014 —R.M".
فتحته.
قلبها توقف.

صفحات مليئة بخط يد... رايان. لكنه
خط أصغر. أقل ثباتًا. خط شاب في
العشرين من عمره. سطور متقطعة.
كلمات مشطوبة. رسوم في الهوامش.
وفي منتصف الدفتر... صورة.
نفس الصورة التي رأتها في الملف.
رايان الشاب. والرجل ذو الندبة.
البارون.
وتحت الصورة، كتب بخط مرتجف:
"اليوم، علمني البارون القاعدة الأولى:
لا تثق بأحد. ولا حتى بنفسك."
أغلقت الدفتر بسرعة. أنفاسها
متقطعة. عقلها يصرخ.
رايان... كان تلميذ البارون؟
البارون... هو من صنع الوريث؟
وإن كان الأمر كذلك... لماذا يطارده
الآن؟ لماذا يخشاه؟

وضعت الدفتر على صدرها. أغلقت عينيها. وفي الظلام خلف جفنيها، سمعت صوته مجددًا: "شيء... لا يمكن إصلاحه."

ماذا حدث في براغ

ماذا كسر رايان الموراتي إلى الأبد؟

وفجأة، فهمت. اللعبة لم تكن بين رايان والبارون. اللعبة كانت عن رايان والبارون. عن أب روحي وابنه الخائن. عن جريمة أصلية لم تُغتفر.

وهي... في منتصف هذه الحرب. لا تعرف إن كانت درعًا. أم رهينة. أم... طُعم.

لكنها ستعرف.

غدًا.

أو ربما... الليلة.

يتبع...

الفصل الخامس:

صوت في الجدران.

استيقظت على صوت.

ليس صوت انفجار. ليس صراخًا. بل صوت أخف. أبعد. كأن أحدًا يبكي. خلف الجدران.

جلست في سريرها. ظلام الغرفة كان كثيفًا، لا يخترقه إلا خيط فضي من القمر عبر الستائر. أذناها توترتا. أصغت.

البكاء توقف.

ثم... خطوات. خفيفة. بعيدة. في مكان ما في عمق القصر.

نهضت. قدماها حافيتان على الرخام البارد. فتحت باب غرفتها ببطء. الممر الطويل كان مضاءً بشموع وهمية، مصابيح خافتة على الجدران الحجرية. لا أحد. ظلال تراقصت على السقف.

تبعت الصوت.

قلبها كان يقرع بقوة. عقلها كان
يصرخ: عودي إلى غرفتك. لكن ساقيها
استمرتا. كانت تعرف أن الصوت ليس
خطراً. كان شيئًا آخر. شيئًا... حزيناً.
انعطفت يميناً. درج حلزوني ضيق،
حجري، ينزل إلى الأسفل. لا نوافذ هنا.
فقط مصابيح خافتة. الهواء صار أبرد.
أكثر رطوبة. رائحة تراب وأشياء
قديمة.
في أسفل الدرج، باب. خشبي. قديم.
مفتوح قليلاً. خيوط ضوء برتقالي
تنسرب من الشق.
اقتربت. دفعت الباب بإصبعها.
كانت غرفة. ليست كغيرها في القصر.
لا ترف فيها. لا ذهب. جدران حجرية
عارية، سرير حديدي بسيط، مكتب
خشبي متآكل. وعلى الجدار... صور.
عشرات الصور. كلها لنفس الوجه.

وجه امرأة

جميلة. بعينين كبيرتين حزينتين.

وشعر داكن ينسدل على كتفيها.

وفي بعض الصور، كانت تحمل

طفلاً. طفل بعينين رماديتين.

رايان.

تجمدت في مكانها. الغرفة كانت...

مزاراً. شموع مضاءة. زهور ذابلة.

رسائل متراكمة. وكأن الزمن توقف

هنا. وكأن من يعيش في هذا

القصر يأتي إلى هنا... ليحزن.

"ماذا تفعلين هنا؟"

الصوت جاء من خلفها. ليس غاضباً.

ليس هادئًا أيضًا. صوت متعب.

مكسور.

استدارت ببطء. كان هناك. في ظل

الباب. بلا بدلته الأنيقة. فقط

قميص أبيض، غير مرتب، مفتوح

حتى منتصف صدره. شعره مبعثر.

عيناه... حمراوان.

لم أقصد..."

"سألتكِ: ماذا تفعلين هنا؟"

"سمعت صوتًا. بكاءً. تبعت الصوت...

صمت. نظر إلى الغرفة خلفها. إلى

الصور. إلى الشموع. فكه انعقد. ثم

قال بصوت خفيض جدًا:

"لا يوجد بكاء هنا. ليس بعد الآن."

"هذه... أمك؟"

ساد الصمت. طويلاً. ثقيلاً. حتى

ظنت أنه لن يجيب.

"نعم."

"أين هي الآن؟"

نظر إليها. ولأول مرة... رأت شيئًا

مختلفًا في عينيه الرماديتين. ليس

بردًا. ليس قوة. بل... خسارة. خسارة

قديمة. متحجرة.

"ميتة.

الكلمة سقطت كحجر. تردد
صداها في الغرفة الصامتة.
"أنا آسفة."
"لا تكوني."
دخل الغرفة. وقف أمام الصور.
ظهره لها. كتفاه ارتفعتا قليلاً،
كأنه يحمل وزنًا لا يُرى.
"أتعرفين ما هو أسوأ من
الموت؟"
لم تجب
"أن تُقتل ببطء. أن تُسرق حياتك
قطعة قطعة. أن ترى الموت
يأتي... ولا تستطيع إيقافه."
التفت. عيناه الآن جافتان. لكن
خلفهما بحر من شيء مظلم.
"سرطان. أربع سنوات. كنت أرى
وجهها يذبل كل يوم. كنت
أسمع سعالها في الليل. كنت
أمسك يدها... وأكذب. أقول لها
إنها ستتحسن."

صوته انخفض.

"لم تتحسن."

تقدمت خطوة. لا تعرف لماذا.

قدماها تحركتا وحديهما.

"كم كان عمرك؟

" عشرين

" صغير."

"كفى. لأفقد كل شيء."

وقفا في صمت. الغرفة كانت

تضيق. الشموع ترتجف.

الظلال ترقص. ثم قال بصوت

مختلف:

" بعدها... ظهر البارون."

تجمدت.

" وجدني في أسوأ حالاتي.

فارغًا. غاضبًا. مستعدًا لحرق

العالم. وعلمني كيف أفعل

ذلك."

ماذا علمك؟"

نظر إليها. عيناه الآن باردتان

مجددًا. لكن البرودة كانت مختلفة.

كانت دفاعًا. درعًا يلبسه.

"علمني كيف أصبح وحشًا."

صمتت. أنفاسها كانت سطحية.

عقلها يربط الخيوط. الأم الميتة.

الابن المكسور. المعلم الذي وجده

في الظلام. المعلم الذي صار...

عدوًا.

"ولماذا تخافه الآن؟"

ضحك. ضحكة قصيرة. مرة. خالية

من الفرح.

"لأنني تفوقت على أستاذي."

مشى نحو الباب. توقف بجانبها.

قريبًا. قريبًا جدًا. كانت تشم رائحته

مجددًا. خشب الصندل. ودخان.

وكحول هذه المرة. شيء مر. شيء

وحيد.

"لا تأتي إلى هنا مجددًا. هذه
الغرفة ليست لكِ."
"لماذا تركتني أجدها إذن؟"
سؤالها فاجأه. رأت ذلك في
عينيه. لجزء من الثانية. ثم عاد
القناع.
"ربما... أردتِ أن تري.
ثم رحل. وخطواته ابتعدت في
الممر الحجري. وبقيت هي في
غرفة الأم الميتة. تنظر إلى
الصور. وإلى الطفل ذي العينين
الرماديتين. الذي صار وحشًا. الذي
صار ورثة لشيء أكبر منه.
وفهمت أخيرًا.
رايان الموراتي لم يولد باردًا. صُنع
باردًا.
والبارون... كان الصانع.
وهو الآن يريد تدمير ما صنع.
في طريق عودتها إلى غرفتها،
لم تعد تشعر بالخوف.

في طريق عودتها إلى غرفتها،
لم تعد تشعر بالخوف. شعرت
بشيء آخر. شيء أخطر. شيء
اسمه... فضول. ورغبة في الفهم.
وفي مكان ما، تحت كل ذلك،
شعور ثالث لم تكن تريد
الاعتراف به. شيء ناعم. دافئ.
نحو رجل لا يجب أن تشعر
تجاهه بأي شيء.
دخلت غرفتها. أغلقت الباب.
استندت إليه.
ثم سمعت الصوت مجددًا.
ليس بكاءً هذه المرة. صوت
شخص يمشي في الممر. أمام
بابها. يتوقف.
"من هناك؟"
لا جواب.
لكن مظروفًا أبيض انزلق تحت
الباب.
تجمدت. نظرت إليه. كان على
الأرض. أبيض. ناصعًا.

مختومًا بختم شمعي. أحمر. عليه

حرف واحد:

B.

فتحته بيدين مرتجفتين. بداخله،

ورقة واحدة. مكتوبة بخط أنيق.

أسود:

" عزيزتي الآنسة خطيب،

أعرف أنك في قصر الوريث. أعرف

أنك تقرئين دفاتره القديمة. أعرف

أنك تسألين أسئلة خطيرة.

هذا جيد. الأسئلة الخطيرة تقود إلى

إجابات خطيرة.

وإن أردتِ إجابات... فتعالي إلى

براغ.

سأكون في انتظارك.

— البارون"

سقطت الورقة من يدها. أصابعها

تجمدت. عيناها مثبتتان على الحرف

الذهبي.

B.

البارون هنا. ليس في براغ.
ليس في الماضي. هنا. في هذا
القصر. أو قريبًا كفاية لينزلق
مظروف تحت بابها.
نظرت حولها. الغرفة الجميلة
صارت فخًا. الجدران صارت
عيونًا. الستائر الحريرية صارت
أيادي.
أسرعت إلى نافذتها. نظرت
إلى الحديقة المضاءة. إلى
الأشجار. إلى الظلال بينها. هل
هناك أحد؟ هل يقف هناك
الآن؟ ينظر إلى نافذتها؟
يبتسم؟
تراجعت. أغلقت الستائر.
التقطت الورقة. قرأتها مجددًا.
"تعالي إلى براغ."
كأنها تستطيع الذهاب. كأن
رايان سيتركها. كأنها تملك
حرية الاختيار.

ثم تذكرت الدفتر. دفتر 2014.

الصورة. رايان الشاب. والبارون.

والكلمات المرتجفة:

"لا تثق بأحد. ولا حتى بنفسك."

كانت تلك كلمات البارون. علّمها

لتلميذه. والتلميذ صار الوريث.

والآن... المعلم يريد تدمير

تلميذه. وهي في المنتصف. تتلقى

رسائل من شبح.

وفجأة، فكرة صاعقة اخترقت

جمجمتها:

إن كان البارون هنا، قريباً كفاية

لترك مظروف... فهل كان هنا

طوال الوقت؟ هل يعيش في

القصر؟ هل هو أحد الخدم؟ أحد

الحراس؟ هل هو... يراقبني الآن؟

نبضها تسارع. عقلها صار ميدان

حرب. أفكار تتقاتل. مخاوف

تتصارع.

لكن فكرة واحدة انتصرت.

كانت تعرف ما يجب أن

تفعله.

ستذهب إلى براغ.

ليس لأن البارون طلب. ليس

لأنها تثق به. بل لأن براغ

تحمل الحقيقة. الحقيقة عن

ماضي رايان. عن الجريمة

التي لا يمكن إصلاحها. عن

سبب تحول التلميذ على

معلمه.

وإن عرفت الحقيقة... ربما

عرفت كيف تنجو. كيف تُنقذ

أخاها. كيف تخرج من هذه

اللعبة حية.

أو ربما... الحقيقة ستقتلها.

لكنها قررت. غدًا. ستواجه

رايان. ستطلب إجابات. أو

ستهرب إلى براغ. أيًا كان

الثمن.

في تلك الليلة، بينما كانت المدينة تنام،
وفي قصر الوريث، كانت امرأة وحيدة
تجلس على سريرها، مظروف أبيض في
يدها، وقرار يتشكل في عقلها.
وفي الطابق السفلي، في غرفة مليئة بصور
الموتى، كان رجل يقف أمام صورة أمه.
يهمس بشيء. شيئًا لا يسمعه أحد.
"أنا آسف."
ثم يرفع رأسه. وينظر في المرأة. في
عينيه الرماديتين. دموع لم تذرف.
" سأنهي ما بدأه. حتى لو كان الثمن... كل
شيء."
وفي مكان ما، ليس بعيدًا، في ظل خارج
أسوار القصر، كان رجل بندبة على خده
يشعل سيجارًا. الدخان يتصاعد في الهواء
البارد. عيناه مثبتتان على النافذة المضاءة
في الطابق العلوي.قريبًا، آنسة خطيب.
قريبًا جدًا.
ثم يبتسم. ويمشي في الظلام.
يتبع...

الفصل السادس:

دماء في الثلج

الرسالة كانت لا تزال في يدها
عندما طلع الفجر.
لم تنم. لم تستطع. كلما أغمضت
عينيها، رأت الحرف الذهبي: B.
كلما فتحتهما، رأت ظلالاً تتحرك
خلف الستائر. القصر الذي كان
ملاذًا صار قفصًا. والجدران التي
كانت تحميها صارت تراقبها.
نهضت عند أول خيط من الضوء
الرمادي. ارتدت ملابسها. لم تكن
بدلتها الرسمية. اليوم، اختارت
شيئًا آخر. بنطالاً أسود، وسترة
جلدية وجدتها في الخزانة، كأن
أحدًا تركها هناك عن قصد.
شعرها تركته منسدلاً. لا درع
اليوم. لا نظارة ذهبية. اليوم...
ستواجه الحقيقة بوجهها العاري.

فتحت باب غرفتها. الممر الطويل
كان صامتًا. لكنه لم يعد مخيفًا.
صار... مألوفًا. كأنها بدأت تنتمي
إلى هذا المكان. أو كأن المكان بدأ
يبتلعها.
نزلت الدرج الحلزوني. ليس إلى
غرفة الأم هذه المرة. بل إلى
الطابق الأرضي. إلى غرفة الطعام
التي لم تدخلها من قبل.
كان هناك. جالسًا على رأس طاولة
طويلة. أمامه فنجان قهوة سوداء.
وعيناه على شاشة حاسوب
محمول. لم ينظر إليها عندما
دخلت. لكنه قال:
"لم تنامي."
"وأنت؟"
"أنا لا أنام."
جلست على الطرف المقابل.
المسافة بينهما كانت الطاولة كلها.
خشب داكن. لامع. كبحيرة سوداء.

ضحك. ضحكة خفيفة. مرة. بلا فرح.

"لا. لستِ."

ثم وقف. مشى نحو النافذة الضخمة المطلة على الحديقة. الضوء الرمادي غسل وجهه. بدا أكبر. أقدم. كأن الماضي يجلس على كتفيه.

"براغ... كانت قبل عشر سنوات. كنت في العشرين. غاضبًا. فارغًا. أمي ماتت لتوها. والعالم كله كان عدوي."

صمتُها كان استماعًا. وقفَ في مكانها. لم تقاطعه.

"هناك، وجدت البارون. أو... هو وجدني."

"كيف؟"

"كنت في حانة رخيصة. أشرب وحدي. دخل رجل بمعطف طويل وندبة على خده. جلس أمامي. طلب شرابًا. ثم قال لي: 'أعرف من أنت. وأعرف ما تريد.'"

"وماذا كنت تريد؟"

"انتقامًا."

سقطت الكلمة. ثقيلة. حادة.

كسكين في طاولة خشبية.

"انتقام من ماذا؟"

نظر إليها. عيناه الآن مختلفتان.

ليستا باردتين. ليستا غاضبتين.

شيء ثالث. شيء أقدم من كل

ذلك.

"من العالم الذي قتل أمي."

"السرطان قتل أمك."

"لا. الفقر قتلها. العجز قتلها.

المستشفيات التي لم نستطع

دفع تكاليفها. الأطباء الذين

رفضوا علاجها. العالم الذي

نظر إليها وإليّ كحشرات. هذا

ما قتلها."

صمتت. لم تكن تعرف هذه

القطعة منه. الوريث. الرجل

الذي يملك نصف المدينة. كان

يومًا فتى لا يملك ثمن دواء

أمه.

وقال لك البارون إنه سيساعدك
على الانتقام."
"نعم."
"وماذا طلب في المقابل؟"
صمت رايان. طويلاً. كأن
الكلمات التالية كانت حجارة في
حلقه.
"طلب كل شيء."
"جعلني أعمل لديه. في البداية،
مهام صغيرة. توصيل طرود.
رسائل. تهديدات. ثم... مهام
أكبر. لم أسأل ماذا كنت أنقل.
لم أسأل من أهدد. كنت غاضبًا
كفاية لا أهتم."
مشى نحوها. خطوات بطيئة
ثقيلة. الطاولة بينهما صارت
مجرد حاجز وهمي.
"ثم جاءت الليلة التي غيرت كل
شيء."

ماذا حدث في تلك الليلة؟"

وقف أمامها. قريبًا. قريبًا جدًا.

كانت تشم رائحة القهوة في

أنفاسه. وخلفها، شيء آخر.

شيء قديم. دم. وثلج. وندم.

"أعطاني مسدسًا. وقال لي:

'اليوم، تصبح رجلاً.'"

تجمدت.

" من... من كان الهدف؟"

" رجل. تاجر مخدرات. قال لي

البارون إنه قتل عائلة

بأكملها. إنه وحش. وإن قتله

سيكون خدمة للعالم."

" وأنت... صدقته؟"

"أردت أن أصدقه. أردت سببًا

لأضغط الزناد. أردت أن

أشعر أن انتقامي بدأ أخيرًا."

" وقتلت الرجل."

صمت. طويلاً. حتى ظنت
أنه لن يجيب. ثم قال
بصوت خفيض جدًا:
"نعم."
ساد الصمت. الساعة على
الجدار دقت. مرة. مرتين.
ثلاثًا.
"لكنك اكتشفت لاحقًا أنه...
لم يكن وحشًا."
نظر إليها. في عينيه، رأت
شيئًا ينكسر. جدارًا يتصدع.
خلفه، بحر من شيء مظلم.
"اكتشفت أنه كان أبًا. لثلاثة
أطفال. وأن البارون كذب.
لم يكن تاجر مخدرات. كان
شاهدًا. على جريمة للبارون.
كان يجب أن يُسكت."
وضعت يدها على فمها.
"قتلت رجلاً بريئًا."
"نعم."

"من أجل البارون."

"نعم."

"وهذا... ما حدث في براغ."

"هذا... البداية فقط."

استدار. عاد إلى النافذة.

ظهره لها. كتفاه ثقيلتان.

صوته صار أبعد.

"بعد تلك الليلة، امتلكني. لم

أعد رايان. صرت... أداته.

سلاحه. فعلت أشياءً لا يمكنكِ

تخيلها. أشياء تجعل القتل

يبدو رحمة."

"كم سنة؟"

"خمس. خمس سنوات في

الظلام."

"وكيف خرجت؟"

صمت. ثم التفت. عيناه الآن

جافتان. لكنهما تحترقان.

"قتلته."

تجمد الدم في عروقها.

"قتلتَ... البارون؟"

"ظننت ذلك."

"ظننت؟"

"أطلقت عليه ثلاث رصاصات.

في صدره. رأيته يسقط.

رأيت الدم. تركته في الثلج.

في غابة خارج براغ. وعدت

إلى المدينة. إلى حياتي. إلى

إمبراطوريته التي صارت لي."

"لكنه... حي."

"نعم."

"كيف؟"

"لا أعرف. لكنه حي. وقد عاد.

يريد تدميري. يريد استعادة

ما أخذته منه. يريد...

توقف. نظر إليها.

"يريدكِ."

الغرفة دارت. الجدران
اقتربت. الهواء صار
رقيقًا.
"أنا؟ لماذا أنا؟"
"لأنكِ نقطة ضعفي."
"أنا... نقطة ضعفك؟"
"أنتِ الوحيدة التي
دخلت هذا القصر
وبقيت حية. الوحيدة
التي سألت أسئلة ولم
تمت. الوحيدة التي
رأتني... في غرفة
أمي."
صمتت. قلبها كان
يخفق بقوة. عقلها كان
يصرخ. لكن صوتها
خرج هادئًا:
"لماذا أنا مختلفة؟"
نظر إليها. طويلاً. كأنه
يرى شيئًا فيها لم يره
أحد من قبل.

كأنها مرآة تعكس له شيئًا

نسيه.

"لا أعرف. ربما... لأنك لم

تخافي مني."

"أنا خائفة."

"لا. أنتِ مرعوبة. لكنك لم

تخافي. الفرق كبير."

تقدم خطوة. ثم أخرى.

حتى صار قريبًا. قريبًا جدًا.

أنفاسهما اختلطت. المسافة

بينهما انعدمت. يده

ارتفعت. أصابعه لمست

خدها. رقيقة. مترددة. كأنه

يلمس شيئًا لم يلمسه منذ

زمن طويل.

"لين..."

همس باسمها. ليس كأمر.

ليس كتهديد. كشيء آخر.

كشيء هش.

لا تذهبي إلى براغ."

تجمدت. الرسالة. الحرف

هل كان يعرف؟ أم B.

كان يخمن؟

"إن ذهبتِ... سيقتلك."

"لماذا يريدني؟"

"لأنه يعرف أنكِ الطريقة

الوحيدة لإيذائي. لأنني...

لن أتحمل خسارة أحد

آخر."

يده سقطت. تراجع.

الستار عاد.

"سترحلين غدًا. سأرسلك

إلى مكان آمن. بعيدًا عني.

بعيدًا عن البارون. سأنهي

هذا وحدي."

"وإن رفضت؟"

"ليس لديك خيار."

"دائمًا لدي خيار."

نظر إليها. عيناه اشتعلتا.

ليس غضبًا. شيئًا آخر. شيئًا

اسمه... خوف.

"لماذا تريدين البقاء؟ لماذا

تريدين الذهاب إلى براغ؟

لماذا تريدين مواجهة رجل

لا يرحم؟"

"لأني أريد أن أعرف

الحقيقة. كلها. ولأني..."

توقفت. الكلمات علقت في

حلقها.

"لأنكِ ماذا؟"

"لأني لا أستطيع تركك

وحدك."

سقطت الكلمات. وبقي

الصمت. طويلاً. عميقًا.

كأن العالم توقف.

ثم فجأة... انهار.

لم يكن انهياراً جسديًا. كان
شيئًا أعمق. رأته في عينيه.
جداراً كاملاً تحطم. خلفه،
لم ترَ وحشًا. رأت فتى في
العشرين. فقد أمه. وقتل
رجلاً بريئًا. وعاش خمس
سنوات في الظلام. وحاول
قتل معلمه. وها هو الآن...
يقف أمام امرأة لا تريد
تركه.
"لين..."
صوته انكسر. لأول مرة.
انكسر.
"إن بقيتِ معي... سأدمركِ."
"إذن دعنا نتدمر معًا."
في تلك اللحظة، في غرفة
الطعام الفخمة، تحت ضوء
الصباح الرمادي، حدث شيء
لم يكن في خطة أحد. لا
رايان. ولا البارون. ولا حتى
لين نفسها.

يدها ارتفعت. لمست

وجهه. كما لمس وجهها

قبل قليل. إبهامها مسح

على عظمة خده. على

الندبة الصغيرة تحت عينه

اليسرى. ندبة لم تلحظها

من قبل.

"ما هذه؟"

"ذكرى من براغ."

"البارون؟"

"نعم."

أصابعها تتبعت الندبة.

رقيقة. كأنها تمسح ألمًا

قديمًا. عيناه أغلقتا. للحظة.

ثم فتحتا. وفي عينيه، رأت

شيئًا لم تره من قبل. شيئًا

يشبه... الأمل.

"إذا أردتِ البقاء... فسترين

أشياءً لا يمكن رؤيتها ثم

نسيانها."

"أنا لا أنسى."

"ستجرحين."

"أنا قوية."

"قد تموتين."

"كلنا سنموت."

نظر إليها. طويلاً. كأنه يحفظ

وجهها. كأنه يعرف أنه قد لا يراه

مجددًا. ثم قال بصوت خفيض:

"إذن... تعالي معي. إلى براغ."

يتبع...

الفصل السابع:

براغ

الطائرة الخاصة اخترقت الغيوم
كإبرة فضية.
جلست لين قرب النافذة. تحت
جناح الطائرة، كانت أوروبا
تتكشف كخريطة حية. غابات
خضراء. أنهار فضية. مدن
صغيرة كقطع شطرنج متناثرة.
لكن عينيها لم تكونا تريا
المشهد. كانتا تنظران إلى
الداخل. إلى كلماته. إلى لمسته.
إلى الطريق الذي اختارته، والذي
تشعر أنه يقودها إلى حافة
الهاوية.
رايان جلس امامها. لم يكن
يتحدث. لم يكن يقرأ. لم يكن
يفعل شيئًا سوى النظر إليها.
وكأنه يحاول حفظ وجهها.

كأنه يعرف أنهما قد لا يعودان معًا.

"لماذا تنظر إليّ هكذا؟" سألت.

"لأني لا أريد أن أنسى."

"أن تنسى ماذا؟"

"أن هناك شيئًا جميلاً في هذا العالم."

صمتت. الكلمات كانت أثقل من أن ترد عليها. نظرت إلى يده. كانت موضوعة على المسند بينهما. قريبة. قريبة جدًا. لو مدت إصبعها قليلاً... للمسته. لكنها لم تفعل. ليس بعد.

"ماذا حدث بعد تلك الليلة؟" سألت. "بعد أن قتلت الرجل البريء؟"

شهيق رايان كان بطيئًا. عميقًا. كأنه يستجمع قوته من بئر بعيد.

بعد تلك الليلة... لم أعد أشعر

بشيء."

"أي شيء؟"

"لا خوف. لا ندم. لا غضب حتى.

صرت فارغًا. والبارون... ملأ هذا

الفراغ."

"بماذا؟

"بالدم."

"خمس سنوات، لين. خمس سنوات

وأنا أتحرك في العالم كشبح. لم أكن

أعيش. كنت أنفذ. البارون كان يفكر،

وأنا كنت أقتل. صرت الأداة التي لا

تسأل. اليد التي لا ترتجف. الوحش

الذي لا ينام."

"لكنك خرجت."

"نعم.

"كيف؟"

نظر من النافذة. الغيوم تحت

الطائرة كانت كقطن ملوّث.

"جاءتني فتاة."

تجمدت لين. كلمة "فتاة"

اخترقتها. لم تكن تعرف لماذا.

لكن شيئًا في صدرها انقبض.

"فتاة؟"

"ابنة الرجل الذي قتلته. في

براغ. كنت أعرف أنها تبحث

عنه. كان يجب أن... أتخلص

منها. هذا ما كان البارون

يريده."

"لكنك لم تفعل."

"لا."

"لماذا؟"

نظر إليها. عيناه الآن تحترقان

بشيء لم تره من قبل.

"لأنها كانت في العاشرة. كانت

تحمل دمية. كانت تسأل عن

والدها. وعندما نظرت إليها...

رأيت نفسي. الطفل الذي فقد

أمه. الطفل الذي كان يبحث عن

شيء... أي شيء... يملأ الفراغ."

ورأيت... ما فعلته."

" رأيت الوحش الذي

صرته."

يدها تحركت. دون وعي.

عبرت المسافة القصيرة

بين كرسييهما. أصابعها

لمست يده. لم يسحبها. لم

ينظر إليها. لكن أصابعه...

أصابعه أغلقت على يدها.

ببطء. بقوة. كأنها المرساة

الوحيدة في بحر مظلم.

"أخبرت البارون أنني لن

أقتلها. وأنني انتهيت.

وأنني سأرحل."

" وماذا قال؟"

" ضحك. ثم قال لي: 'لا

أحد يرحل. أنت لي. للأبد.'"

" وهنا... أطلقت عليه

الرصاص."

نعم."

"ثلاث رصاصات."

"في صدره. رأيته يسقط

في الثلج. الدم كان أحمر

على الأبيض. كان...

جميلاً. بطريقة مرعبة.

"وغادرت."

"وغادرت. عدت إلى هنا.

بنيت الإمبراطورية.

صرت ما أنا عليه الآن.

وحاولت أن أنسى."

"لكنك لم تنسَ."

"لا."

"لأنه عاد."

"لأنه عاد."

الطائرة بدأت في

الهبوط. تحتهم، براغ

تمددت كمدينة من

حكاية قديمة.

أسطح حمراء. أبراج قوطية. نهر
فلتافا يلتف كشريط فضي حول
قلب المدينة. جميلة. لكن جمالها
كان حزيناً. كأنها تعرف أسراراً
كثيرة. كأنها تخبئ في أحشائها
دماءً وثلجًا وذكريات لا تموت.
"لماذا براغ؟" سألت لين. "لماذا
عدنا إلى هنا؟"
"لأنه هنا."
"متأكد؟"
"الرسالة كانت واضحة. 'تعالي
إلى براغ.' هو ينتظرك. و
ينتظرني."
"لكن لماذا أرسل لي الرسالة؟
لماذا لم يأتِ إليك مباشرة؟"
نظر إليها. عيناه الآن جافتان.
لكن خلفهما عاصفة.
"لأنه لا يريد قتلي فقط. يريد
تدميري أولاً. يريد أن يرى كل
شيء أحبه يموت أمامي."

وأنا... شيء تحبه؟"

السؤال علق في الهواء.

لم يجيب. لم يكن بحاجة

إلى أن يجيب. يده ما

زالت ممسكة بيدها.

وقبضته صارت أقوى.

"لهذا كان يجب أن تبقي

في القصر."

"لكني هنا."

"نعم. أنتِ هنا."

نزلا من الطائرة. الهواء

كان باردًا. باردًا جدًا. سماء

براغ كانت رمادية،

توشك أن تثلج. في

المطار، سيارة سوداء

كانت تنتظرهما. نفس

النوع. نفس السائق

الصامت. كأن عالم

المووراتي يمتد إلى كل

مدينة، كل زاوية، كل

ظل.

السيارة اخترقت شوارع براغ
القديمة. جسور حجرية.
تماثيل قديسين. أزقة ضيقة
مرصوفة بالحصى. كل شيء
كان جميلاً. وكل شيء كان
ينزف ذكريات. لين رأت
رايان ينظر من النافذة،
وتعرف أنه لا يرى المدينة.
يرى الماضي. يرى الدم.
يرى الفتى الذي كانه.
"هنا."
توقفت السيارة. كانا أمام
مبنى قديم، حجري، عليه
لافتة خشبية: "فندق القصر
الذهبي". ليس قصراً. ليس
ذهبيًا. بناء متواضع، نوافذه
مضاءة بخفت، بابه ثقيل من
خشب البلوط.
"هنا... ماذا؟"
"هنا بدأ كل شيء."

دخلا. الردهة كانت دافئة. مدفأة
حجرية تشتعل. كراسي مخملية
حمراء. رائحة خشب وعفونة
وشيء حلو. سيدة عجوز خلف
مكتب الاستقبال نظرت إليهما.
وعندما رأت رايان، تجمدت.
عيناها اتسعتا. شفتاها ارتجفتا.
ثم همست بالتشيكية: "أنت..."
"مرحبًا، مارتا."
"ظننتك ميتًا."
"أنا حي."
"وهو؟"
"سأجده."
السيدة العجوز نظرت إلى لين.
عيناها الزرقاوان الباهتتان
فحصتا وجهها. ثم قالت
بالإنجليزية: "أنتِ برفقته. إذن
أنتِ إما شجاعة جدًا... أو
مجنونة."

ربما قليل من الاثنين."

ضحكت العجوز. ضحكة خالية من

الفرح. ثم انحنت تحت المكتب

وأخرجت مفتاحًا. ثقيلاً. حديديًا.

برقم 7.

"نفس الغرفة. لم أغير شيئًا. قلت

لنفسي يومًا ما ستعود."

أخذ رايان المفتاح. أصابعه

ارتجفت. للحظة. ثم توقف.

"شكرًا، مارتا."

"لا تشكرني. فقط... أنهِ هذا."

الغرفة 7 كانت في الطابق الثاني.

ممر طويل، سجادة حمراء بالية،

مصابيح خافتة. فتح رايان الباب.

دخل.

توقف في المدخل. جسده تصلب.

كأنه رأى شبحًا.

لين دخلت خلفه. نظرت حولها.

الغرفة كانت متواضعة.

سرير حديدي. نافذة
صغيرة. طاولة خشبية. كأن
الزمن توقف هنا منذ عشر
سنوات. الغبار يغطي كل
شيء. لكن شيئًا واحدًا لم
يكن مغطى بالغبار.
على الطاولة... كانت هناك
وردة حمراء. طازجة. كأن
أحدًا وضعها للتو.
ورسالة.
تقدم رايان. فتح الرسالة
بيدين ثابتتين رغم كل
شيء. قرأها. ثم سلمها إلى
لين.
"مرحبًا بك في بيتك القديم،
تلميذي.
الليلة، في منتصف الليل. في
المكان الذي علمتك فيه
القاعدة الأولى.

تعال وحدك. أو أحضرها. الخيار
لك.
لكن تذكر: هذه المرة، لن تكون
هناك الثلاث رصاصات.
— البارون"
"المكان الذي علمك فيه القاعدة
الأولى..." همست لين. "ما هو؟"
نظر إليها رايان. عيناه الآن
فارغتان. فارغتان تمامًا.
"الجسر. جسر تشارلز. حيث
علمني أن لا أثق بأحد."
"وماذا سنفعل؟"
"لا شيء. أنا سأفعل. أنتِ ستبقين
هنا."
"لا."
"لين..."
"لا." صوتها كان حادًا. أقوى مما
توقعت. "جئت معك إلى هنا.
سأكمل معك إلى النهاية."

قد تكون نهايتك."

"إذن... فلتكن."

وقفا في صمت. الغرفة الصغيرة ضاقت. الهواء صار مشحونًا. ثم فجأة... تحرك.

لم يكن تحركًا نحوها. كان تحركًا نحو النافذة. وقف أمامها، ظهره لها. كتفاه ارتفعتا، ثم انخفضتا.

وعندما تكلم، كان صوته هامسًا:

"في تلك الليلة... الليلة التي أطلقت عليه الرصاص... قال لي شيئًا وأنا أقف فوقه."

"ماذا قال؟"

"قال: 'ستعود إليّ. كلنا نعود. أنت ابني. أنا صنعتك. ولا يمكن للابن أن يقتل أباه.'"

استدار. عيناه الآن محقونتان بكهرباء.

وها أنا ذا. عدت."

تقدمت لين نحوه. خطواتها

كانت واثقة. وقفت أمامه. قريبة

منه قليلاً. يداها ارتفعتا. أمسكتا

وجهه.

"أنت لست ابنه. أنت لست

صنيعته. أنت رايان. فقط

رايان."

نظر إليها. وفي عينيه، رأت

شيئًا يتفتح. كزهرة في ثلج.

كشيء ميت يعود إلى الحياة.

ثم همس. "من أنتِ حتى

تفعلي هذا بي؟"

"أنا... لا أعرف بعد."

ثم انحنت. و قالت له بثقة و

قوة.

هيا بنا "لنذهب إلى الجسر معًا."

يتبع...

الفصل الثامن:

جسر تشارلز

في منتصف الليل، كانت مدينة براغ صامتة.

ليس الصمت العادي. صمت ثقيل. كأن المدينة تحبس أنفاسها. كأن الحجارة نفسها تعرف أن شيئًا ما سيحدث الليلة.

وقف رايان ولين عند بداية جسر تشارلز. الجسر القديم، الحجري، الممتد فوق نهر فلتافا كعمود فقري لمدينة نائمة. تماثيل القديسين اصطفت على جانبيه، وجوههم متجمدة في تعبيرات من ألم ورجاء. الضباب يتصاعد من النهر، يلف الجسر، يجعله يشبه طريقًا إلى عالم آخر.

الهواء كان باردًا. باردًا جدًا. أنفاسهما تحولت إلى سحب صغيرة، تذوب في الظلام.

"هنا؟" همست لين.

"هنا."

بدآ يمشيان. خطواتهما

كانت الصوت الوحيد. النهر

في الأسفل يهمس بشيء لا

يُفهم. كل تمثال كان

شاهدًا. كل ظل كان

تهديدًا.

"ماذا حدث هنا؟" سألت.

"بالضبط؟"

توقف رايان. كانا في

منتصف الجسر. أمام تمثال

القديس يوحنّا، الذي يقال

إنه أُلقي من هذا الجسر قبل

قرون. وجهه الحجري كان

يحدق في الظلام، كما لو

كان لا يزال يرى شيئًا في

الأعماق.

"هنا... قال لي القاعدة
الأولى."
"لا تثق بأحد."
"ولا حتى بنفسك."
صمت. ثم تابع:
"كنت أقف هنا. في
نفس هذه البقعة.
قبل أن أقتل ذلك
الرجل. كنت خائفًا.
كنت مترددًا. كان
صوت في داخلي
يقول: لا تفعل. لكن
البارون وقف ورائي.
قريبًا. همس في
أذني: 'الخوف
طبيعي. لكن لا تدعه
يوقفك. ثق بي. أنا
أعرف الطريق.'"
"ووثقت به."

"نعم."

"وقتلت."

"نعم."

"ولم تثق بنفسك أبدًا

بعدها."

نظر إليها. عيناه كانتا

تسألان: كيف تعرفين؟

"لأني أعرف الناس."

قالت. "وأعرفك الآن."

وقفت بجانبه. كتفها

يلامس كتفه. كلاهما

ينظران إلى النهر

المظلم.

"أنا هنا." قالت. "أنا أثق

بك."

"لا يجب أن تثقي بي."

"متأخر جدًا."

ثم جاء الصوت.

لم يكن صوتًا عاديًا. كان

صوت خطوات. بطيئة.

واثقة.

على الطرف الآخر من
الجسر. شخص يمشي.
بثبات. نحوهم
تصلب جسد رايان. عضلاته
انقبضت. يده تحركت
تلقائيًا نحو خاصرته، حيث
كان المسدس.
"لا." همست لين. "لا
انتظر."
الخطوات اقتربت. ومعها،
ظهر شكل من الضباب.
طويل. معطف داكن. قبعة
عريضة. وعندما أصبح
أقرب... رأت الندبة.
طويلة. تمتد من جبهته
إلى فكه. عبر خده الأيسر.

البارون.

توقف على بعد عشرة أمتار.

كان أكبر مما تخيلته لين.

ليس في الجسد، بل في

الحضور. كان يحمل معه

ثقلاً. ثقل عقود من العنف

والدهاء. عيناه كانتا

غائرتين، داكنتين، كبئرين

بلا قاع. نظر إلى رايان أولاً.

ثم... إليها.

"إذن أحضرتها."

صوته كان هادئًا. مثقفًا. لو

سمعته في مكان آخر،

لظننته أستاذًا جامعيًا. ليس

قاتلاً. ليس شبحًا.

"أنت من طلبها." قال رايان.

صوته كان باردًا. لكن لين

سمعت الرعشة الخفيفة.

تحت الجليد.

"بل طلبتكما معًا."

ابتسم البارون. والأبتسامة
شوهتها الندبة، جعلتها
ملتوية. تقدم خطوة. أخرى.
توقف على بعد خمسة أمتار.
"لا تقترب أكثر." قال رايان.
"أم ماذا؟ ستطلق النار؟
مجددًا؟"
ساد الصمت. الريح عبرت
الجسر. تماثيل القديسين بدت
وكأنها تميل، تستمع.
"لقد كبرت يا رايان. أرى ذلك
في عينيك. لم تعد الفتى
الغاضب الذي وجدته في
مدينة براغ. صرت... رجلاً.
تقريباً.
"ماذا تريد؟"
"ما أردته دائمًا. ما كان لي."
"الإمبراطورية."

"الإمبراطورية." كرر البارون
الكلمة كأنها طعم في فمه.
"نعم. الإمبراطورية التي بنيتها
على جثتي. أو هكذا ظننت."
"أطلقت عليك ثلاث رصاصات.
تركتك في الثلج. كيف نجوت؟"
ضحك البارون. ضحكة خفيفة.
جافة.
"الحظ. أو اللعنة. أو ربما... مجرد
حقد. هناك أشياء لا تموت، رايان.
الحقد واحد منها."
مشى ببطء نحو حافة الجسر.
نظر إلى النهر. ظهره لهما. ثقة
كاملة. كأنه يعرف أنهما لن
يطلقا النار.
"خمس سنوات قضيتها في
الظل. أتعالج. أعيد بناء وجهي.
أعيد بناء نفسي. وفي كل ليلة...
كنت أفكر فيك."

"وماذا كنت تفكر؟"

"كنت أفكر... في الفتى الذي

أحببته كابن. الذي علمته كل

شيء. والذي خانني في

النهاية."

"خنتك؟" صوت رايان ارتفع.

"أنت من بدأ بالخيانة. أنت من

كذبت عليّ. قلت لي إن ذلك

الرجل تاجر مخدرات. قلت لي

إنه وحش. كان بريئًا!"

"كان شاهدًا."

"كان أبًا!"

الصدى تردد عبر الجسر. عبر

النهر. عبر المدينة الصامتة.

استدار البارون. عيناه كانتا

جافتين. بلا ندم.

"نعم. كان أبًا. وكنت سأقتله

بنفسي لو لم تفعل أنت. هذا لا

يغير شيئًا."

"يغير كل شيء."

"لا. ما زلت لا تفهم، يا تلميذي."

تقدم البارون خطوة نحو رايان. خطوة واحدة فقط. لكنها جعلت لين تشعر بأن الجسر يميل.

"أنا لم أصنعك وحشًا. أنا حررت الوحش الذي كان في داخلك منذ البداية. أنا أعطيتك القوة. أعطيتك الإمبراطورية. كل ما أنت عليه الآن... بسببي."

"ولهذا سأدمرك."

"بالعكس. لهذا... أنا فخور بك."

تجمد رايان. الكلمات ضربته كرصاصة لم يتوقعها. الفخر. من هذا الرجل. من معلمه. من جلاده.

"لا." همس.

"نعم. أنت أعظم ما صنعت.

الوحش الكامل. الوريث. ولذلك

عدت."

"لتقتلني."

"لا." البارون ابتسم مجددًا.

"لأستعيدك."

تحركت يده. بطيئة. نحو معطفه.

رايان رفع مسدسه. لكن البارون لم

يخرج سلاحًا. أخرج شيئًا آخر.

دفترًا. أسود. قديمًا. تمامًا كالذي

وجدته لين في القصر.

"هل تعرف ما هذا؟"

لم يجب رايان.

"هذا دفترك الأول. يومياتك.

عندما كنت في العشرين. عندما

بدأنا معًا. هل تعرف ماذا كتبت في

الصفحة الأولى؟"

"لا."

"كتبت: 'اليوم وجدت أبًا.

أخيرًا.'"

صمت. عميق. كئيب. كأن

النهر توقف عن الجريان.

"أنت لست أبي." صوت رايان

كان هشًا. كزجاج على وشك

التحطم.

"أنا الوحيد الذي كان لك."

خطوة أخرى. البارون صار

قريبًا. قريبًا جدًا. لين رأت يد

رايان ترتجف على المسدس.

رأت عينيه. المعركة في

داخله. الفتى الذي أراد أبًا.

والرجل الذي يريد قتل هذا

الأب.

"يكفي."

صوت لين قطع الليل.

تقدمت. وقفت أمام رايان.

بينه وبين البارون.

"جميل." قال البارون.

"إنها تحميك."

"لا." قالت لين. "أنا لا

أحميه. أنا أحميك منه."

ضحك البارون. هذه المرة

بحرارة. كأنها سلته حقًا

"من أنتِ؟"

"أنا... المحامية."

"المحامية التي اختارها

الوريث. نعم. أعرف.

أعرف كل شيء عنكِ،

آنسة خطيب. أخوكِ.

ديّنه. زيارتك لقسم

الشرطة. مقتل كريم

ناجي. حتى... زيارتك

لغرفة أمه."

تجمدت لين.

"نعم. أعرف عن الغرفة.

أعرف عن الدفتر.

"لديك جواسيس في القصر."

"لدي جواسيس في كل مكان."

التفت إلى رايان.

"أتعرف ما هي نقطة ضعفك الحقيقية؟ ليست هي. بل حاجتك لأن تكون محبوبًا. حاجتك لأم ماتت. لأب لم يكن هناك. حاجتك لفتاة ترى فيك أكثر من وحش. هذه الحاجة... هي التي ستدمرك."

"أو تنقذه." قالت لين.

نظر إليها البارون. طويلاً. لأول مرة، بدا وكأنه يدرسها حقًا.

"أنتِ ذكية. أكثر مما توقعت."

ثم تراجع. عاد نحو حافة الجسر.

"سأعطيكما ليلة واحدة. ليلة
واحدة لتفكرا في عرضي."
"أي عرض؟" سأل رايان.
"عد إليّ. سلّمني
الإمبراطورية. واجلس بجانبي
كابني وخليفتي الحقيقي.
وسأترك الفتاة وشقيقها
يعيشان."
"وإن رفضت؟"
ابتسم البارون. الابتسامة
الأبرد حتى الآن.
"إذن... سأدمر كل شيء تحبه.
ببطء. قطعة قطعة. حتى لا
يبقى لك شيء. حتى ترجع
إليّ... أو تموت."
ثم رفع ياقة معطفه.
واستدار.
"منتصف الليل غدًا. في
المكان الذي بدأ فيه كل شيء.

الغابة. خارج براغ. حيث تركتني في
الثلج. سأكون هناك. وحدي. تعال
وحدك. ومعك جوابك."
بدأ يمشي. خطواته ابتعدت في
الضباب.
لكن قبل أن يختفي تمامًا، توقف.
قال بصوت يحمله الريح:
"أتعرف ما هي القاعدة الثانية؟
لم يجب أحد
"لا تحب أبدًا. الحب... هو الجرح
الذي لا يلتئم."
ثم ابتلعه الضباب.
بقيا وحيدين على الجسر الصمت
عاد. أثقل. أعمق. النهر في الأسفل
يواصل همسه الأزلي.
رايان كان واقفًا. المسدس في يده.
لم يرفعه. لم يخفضه. فقط واقف.
كتمثال آخر على الجسر.

"لين..."

"لا تقل شيئًا."

"لكن..."

"لا تقل شيئًا."

استدارت إليه. عيناها

كانتا تلمعان. من

الدموع؟ من الغضب؟ لا

تعرف.

"أنت لست وحشًا."

"لا تعرفين ما أنا."

"أعرف ما أراه."

"رأيتِ ما قاله. أنا قتلت

رجلاً بريئًا. أنا من فعل

ذلك. ليس البارون. أنا."

"وأنت من أوقف نفسه.

أنت من ترك

الإمبراطورية. أنت من

عاد إلى هنا لتواجه

شبحك. الوحوش لا

تفعل ذلك."

"الوحوش لا تشعر بالندم.

أنت تشعر."

رفعت يدها. لمست خده.

حيث الندبة. حيث الذكرى.

"قال إن الحب هو الجرح

الذي لا يلتئم."

"نعم."

"لكنه مخطئ."

"لماذا؟"

"لأن الحب... هو الشيء

الوحيد الذي يلتئم."

نظر إليها. طويلاً. وعيونه

الرمادية التي كانت بئراً

فارغة... امتلأت. بشيء

دافئ. بشيء حي.

"أخاف أن أفقدك."

"لن تفقدني."

"هو سيحاول."

"وأنا سأبقى."

"غدًا... سأنهي هذا."

همس في اذنِيها .

"بطريقة أو بأخرى."

"سننهيه."

تراجع قليلاً. نظر في

عينيها.

"لين... إذا حدث شيء

لي..."

"لن يحدث."

"إذا حدث. أريدك أن

تعرفي... أنتِ الوحيدة.

منذ ان توفيت أمي. التي

جعلتني أشعر... أنني

إنسان."

ثم انحنى. و نظر إليها

مطولاً.كأنه يحفظها. كأنه

يودعها.ثم قال لها

"تعالي. يجب أن نخطط.

يتبع...

الفصل التاسع:

الغرفة 7

عادا إلى فندق القصر الذهبي قبل الفجر. الشوارع كانت خالية. براغ كانت تحبس أنفاسها، تنتظر ما سيحدث. أو ربما... كانت تذكر. كانت هذه المدينة تعرف رايان قبل عشر سنوات. تعرف الفتى الذي كان. وتعرف الوحش الذي صار. والآن تعرف الرجل الذي عاد.

في ردهة الفندق، كانت السيدة العجوز مارتا ما تزال مستيقظة. جلست خلف مكتبها، فنجان شاي بارد أمامها، عيناها الزرقاوان تنظران إلى الباب كأنها تنتظر.

"عدتما." قالت. لم يكن سؤالاً.

"عدنا." قال رايان.

"رأيته؟"

"نعم."

"وهو...؟" "غدًا."

أومأت العجوز. لم تسأل أكثر. كانت
تعرف. ربما أكثر مما ينبغي.
"الشقة جاهزة. أعددت غرفتين."
"غرفة واحدة." قال رايان.
نظرت مارتا إلى لين. ثم إلى رايان.
ثم أومأت ببطء.
"غرفة واحدة إذن."
صعدا الدرج الخشبي. خطواتهما
كانت ثقيلة. متعبة. الغرفة 7 كانت
في انتظارهما. نفس الغرفة التي
شهدت البداية. التي شهدت الليلة
التي سبقت أول قتله. التي شهدت
الفتى الذي كان يكتب في دفتر
أسود: "اليوم وجدت أبًا."
دخلا. أغلق الباب خلفهما.
الغرفة كانت نفسها. السرير
الحديدي. النافذة الصغيرة. الطاولة
الخشبية. لكن شيئًا ما تغير. ربما
ليس في الغرفة. ربما فيهما.

"لماذا غرفة واحدة؟" سألت لين.

"لأني لا أريد أن أكون وحدي الليلة.

خلع معطفه. وضعه على الكرسي. جلس على حافة السرير. لم يكن الوريث الآن. لم يكن الرجل الذي يملك نصف مدينة. كان مجرد رجل. متعب. خائف. وحيد.

جلست لين بجانبه. الفراش تحتها كان صلبًا. قديمًا. كم عدد الذين ناموا هنا قبلهم؟ كم عدد الذين حملوا أسرارهم إلى هذا السرير؟

" هل كنت خائفًا تلك الليلة؟" سألت.

"أي ليلة؟"

"الليلة التي سبقت... أول مرة."

نظر إلى النافذة. الضوء الرمادي للفجر بدأ يتسرب.

"كنت مرعوبًا."

"لكنك فعلتها."

"نعم."

"لماذا؟"

صمت. طويلاً. ثم قال:

"لأني كنت أظن أنني إن فعلتها...

سيحبني."

الكلمة علقت في الهواء. حب. كان هذا ما

كان يبحث عنه طوال الوقت. في أم ماتت.

في أب لم يوجد. في بارون لم يكن أبًا أبدًا.

وفي امرأة تجلس بجانبه الآن على سرير

حديدي في غرفة قديمة في براغ.

"رايان..."

"لا تقولي شيئًا. لا الآن."

استدار إليها. عيناه كانتا متعبتين. لكن

خلف التعب، كان هناك شيء آخر. شيء

مكسور. شيء يطلب.

"في تلك الليلة... لم ينم أحد بجانبي. كنت

وحدي. كنت أرتجف. كنت أبكي."

"واليوم؟"

"اليوم... لا أريد أن أكون وحدي."

مدت يدها. أمسكت يده.

"لن تكون وحدك.

استلقيا على السرير. القديم. كانا وجهًا
لوجه. عيناها في عينيه. أنفاسهما
تختلط في الهواء البارد. يدها على
خده. على الندبة.
"هل تندم؟" همست.
"على ماذا؟"
"كل شيء."
صمت. طويلاً. خارج النافذة، بدأت
الثلوج تتساقط. رقاقات بيضاء تهبط
بصمت على أسطح براغ.
"لو لم أفعل ما فعلت... لما كنت هنا
الآن. لما كنتُ الوريث. ولما... التقيتكِ."
"إذن لا تندم."
"لا. لكني... أخاف."
"من ماذا؟"
"من أن أكون حقًا ما قاله. الوحش الذي
حرره. وأنكِ... سترين ذلك.
وسترحلين."
"لن أرحل.

"لا تعرفين ما قد أراه أنا في
نفسي غدًا."
"سأبقى. مهما رأيتَ. دموع؟ لا
تعرف دموع من.
"لين...
"اصمت."
تحت قميصه. كان هناك ندوب.
ندوب كثيرة. خريطة عنف على
جسده.
"كم مرة اصبت...؟"
"لا أعرف. توقفت عن العد.
يدها تتبعت الندوب. على
معصمه. على كتفه. على
ضلوعه. كأنها تقرأ كتابًا مكتوبًا
على جلده. كل ندبة قصة. كل
قصة دم. كل دم... ذكرى.
لم أكن أتذكر كيف يكون الدفء
و كيف تكون طيبة الفؤاد."

"قد لا يكون هناك عودة بعد هذا."

"لا أريد عودة.العالم الخارجي اختفى. براغ. الثلج. البارون. الغد. لم يبقَ إلا هذه الغرفة. هذا الرجل. هذه المرأة.

"لين..."

اسمها في فمه كان صلاة.

"أنا هنا.

"لا تتركني."

"لن أفعل."

في الخارج، كان الثلج يغطي أسطح براغ. أبيض. ناعم. كأن المدينة تلبس كفناً. أو ربما... فستان عرس.

وفي الغرفة 7، تحت بطانية خشنة، على سرير حديدي، كان رايان الموراتي ينام لأول مرة منذ عشر سنوات دون كوابيس. كانت لين بجانبه. رأسها في الجهة الاخرى من السرير. و كأن هذه الفتاة تحرس أحلامه.

لكن في مكان ما، خارج
أسوار المدينة، في غابة
خارج براغ، كان رجل
بندبة على خده يقف
في ثلج. ينظر إلى كوخ
قديم. إلى مكان يعرفه.
إلى ماضٍ لم يمتد
ويبتسم.
يتبع...

الفصل العاشر:

الغابة

استيقظت لين قبل الفجر.

جسدها كان متعبًا. كل عضلة فيها كانت تذكرها بليلة لم تنم فيها إلا قليلاً، وبنوم كان أثقل من اليقظة.

التفتت. رايان كان نائمًا بجانبها. وجهه في النوم كان أصغر. أكثر براءة. كأن السنين انسلخت عنه في الظلام. كأنه عاد فتى.

لم توقظه. نهضت بهدوء. مشت إلى النافذة. الثلج كان لا يزال يتساقط. براغ كانت بيضاء. نقية. كأن المدينة تحاول إخفاء جراحها تحت كفن من نور.

"لين."

صوته كان أجش. استيقظت

"أنا هنا."

جلست بجانبه على السرير. نظر إليها. في عينيه، رأت شيئًا مختلفًا. هدوء. لم يكن هادئًا من قبل. كان دائمًا مشدودًا. جاهزاً. أما اليوم... كان هادئًا.

"حلمت." قال.

"بماذا؟"

"بأمي. كانت تجلس في غرفتها. في القصر.
كانت تضحك. لم أرها تضحك منذ زمن
طويل. حتى قبل أن تمرض."

"وماذا قالت لك؟"

"لا شيء. فقط... نظرت إليّ. وابتسمت."
أمسكت يده. الأصابع الباردة. الندوب.

"إنها معك."

"نعم. اليوم... أشعر أنها معي."
نهض. ارتدى قميصه. حركاته كانت
بطيئة. واثقة. ليس كرجل ذاهب إلى
معركة. كرجل ذاهب إلى نهاية.

"حان الوقت." قال.

"نعم."

تركا الفندق قبل أن تستيقظ المدينة. مارتا
كانت واقفة عند الباب. لم تقل شيئًا. لكنها
مدت يدها. أمسكت يد رايان. ضغطت
عليها. بقوة. ثم تركته.

السيارة السوداء كانت تنتظر. الثلج
على زجاجها. السائق فتح الباب.
دخل رايان ولين. المقعد الخلفي
كان باردًا. لكن أيديهما كانتا
متشابكتين.
اخترقت السيارة شوارع براغ
الصامتة. عبرت الجسر. عبرت الأحياء
القديمة. ثم خرجت من المدينة. إلى
الريف. إلى البياض اللامتناهي.
"إلى أين بالضبط؟" سألت لين.
"إلى حيث تركته. قبل عشر
سنوات."
"في الغابة."
"في الغابة."
بعد ساعة، توقفت السيارة عند
بداية طريق ترابي. أبيض. غير
مطروق. امتدت الأشجار على
جانبيه. عارية. سوداء. كأنها هيكل
عظمي للعالم.
"من هنا... نمشي."

نزلا. الهواء كان باردًا لدرجة أنه أحرق رئتيها. الثلج كان عميقًا. يصل إلى كاحليها. أمسك رايان يدها. مشيا معًا.

الغابة كانت صامتة. الصمت الذي ليس فراغًا، بل حضورًا. كأن الأشجار تسمع. كأن الثلج يحفظ الأسرار. كل خطوة كانت تغوص في البياض. وكل خطوة كانت تقربهما من الماضي.

ثم... وصلا.

كانت فسحة. صغيرة. محاطة بأشجار صنوبر عملاقة. في وسطها، كوخ خشبي. قديم. متآكل. الثلج على سقفه. الدخان يتصاعد من مدخنته.

"هنا؟" همست لين.

"هنا.

"هو في الداخل؟

"نعم."

وقفا. يدان متشابكتان. أنفاس تتصاعد في الهواء البارد. العالم كان أبيض وأسود. كصورة قديمة.

"لين... قبل أن ندخل... أريدك أن تعرفي شيئًا."

نظرت إليه.

"مهما حدث. مهما رأيتِ في الداخل. أريدك أن تعرفي... أنا لست ذلك الفتى بعد الآن. بسببك."

"لم أفعل شيئًا."

"فعلتِ كل شيء."

انحنى. قبل جبهتها. مطولاً. ثم ترك يدها.

"ابقِ هنا."

"لا."

"لين..."

"قلت لك. جئت معك إلى هنا. سأدخل معك."

"قد يكون فخًا."

"إذن نواجهه معًا."

نظر إليها. طويلاً. وفي عينيه،

رأت شيئًا يشبه الوداع. وشيئًا

آخر. شيئًا يشبه... السلام.

"إذن... تعالي.

دفع باب الكوخ. انفتح بصرير.

دخلا.

الداخل كان مضاءً بمدفأة. النار

تتراقص في الظلام. رائحة

خشب. ودخان. وشيء آخر.

كحول. ودم.

البارون كان جالسًا على كرسي

خشبي. أمام المدفأة. ظهره لهما.

لم يستدر عندما دخلا.

"جئتما معًا. جميل."

صوته كان هادئًا. مثقفًا كالعادة.

لكن لين سمعت شيئًا مختلفًا.

تعبًا. ربما.

"وصلتني رسالتك." قال رايان.

"وأنا وصلني جوابك. بحضوركما."

استدار البارون. وجهه في ضوء
النار كان مرعبًا. الندبة بدت أعمق.
العينان بدتا أغور. وفي يده... لم
يكن هناك سلاح. كأس. فيه سائل
عسلي. يرشفه بهدوء.
"اجلسا."
"لم نأتِ للجلوس."
"بالطبع أتيتما للجلوس. كلانا
نعرف لماذا أنتما هنا."
جلس رايان على الكرسي المقابل.
لين بقيت واقفة. خلفه. قريبة.
"عرضك." قال رايان. "قلته على
الجسر. تريد الإمبراطورية."
"أريد ما هو لي."
"وإن أعطيتك إياه؟"
تجمدت لين. لم تتوقع هذا.
البارون ابتسم. الابتسامة المشوهة.
لكنه لم يجب فورًا. رشف من كأسه.
نظر إلى النار.

"إن أعطيتني الإمبراطورية... سأترككما تعيشان."

"وإن لم أفعل؟"

"ستموتان. كلانا يعرف هذا."

صمت. طويل.

"لكن هناك خياراً ثالثاً." قال البارون.

"ما هو؟"

"أن تبقى معي."

وقف البارون. مشى نحو المدفأة. النار أضاءت وجهه. جعلته يبدو كشيطان في أسطورة.

"أنت أعظم ما صنعت. قلت هذا على الجسر. وأنت تعرف أنه صحيح. لي أولاد. لي خونة. لي أعداء. لكن لا أحد مثل رايان الموراتي. أنت... أنت."

"ماذا تطلب؟"

"لا شيئًا لم تقدمه من قبل. كن بجانبي. خذ الإمبراطورية. احكم معي. كما كنا. قبل براغ. قبل الثلج. قبل الرصاصات الثلاث."

"أنت تتحدث كأن شيئًا لم يحدث."

"بالنسبة لي... لم يحدث شيء. كل ما حدث كان... درسًا. تعلمته أنت. وتعلمته أنا."

"أي درس؟"

"أن لا أحد يبقى إلى الأبد. لكن البعض... يستحق أن يعود."

ساد الصمت. النار طقطقت. الثلج خارج النافذة استمر في سقوطه. ولين وقفت. تراقب. تسمع. تفهم.

رايان نظر إلى الأرض. طويلاً. ثم رفع رأسه.

"في دفترك... كتبت شيئًا. عندما كنت في العشرين."

"ماذا كتبت؟"

"كتبت: 'اليوم وجدت أبًا.'"

البارون صمت.

"كنت أبحث عن أب. وأعطيتني إياه. أو هكذا ظننت. لكنك... لم تكن أبًا. كنت صانعًا. وأنا... كنت سلعة.

"أنت كنت ابني."

"لا. الأب لا يطلب من ابنه
أن يقتل. الأب لا يجعل ابنه
وحشًا. الأب لا يعود بعد
عشر سنوات ليدمر ما
تبقى."
وقف رايان. صوته صار
أقوى.
"أنت لست أبي. أنت مجرد
رجل عجوز. خائف. وحيد.
تريد استعادة شبابك من
خلالي. لكن هذا الشباب...
مات. في هذه الغابة. قبل
عشر سنوات. عندما أطلقت
عليك الرصاص."
"وماذا أنت الآن؟"
"أنا... رايان الموراتي. فقط.
لست ابنك. لست وحشك.
لست وريثك."
البارون نظر إليه. طويلاً.
ثم إلى لين. ثم إلى النار.
"إذن... جوابك هو لا."

"جوابي هو لا."

"حتى لو كان معنى هذا...

موتك؟

"حتى لو."

ساد الصمت. أثقل. أعمق. كأن

الغابة كلها تحبس أنفاسها.

ثم تحرك البارون.

لكن ليس نحو رايان. نحو لين.

"وهي؟" قال. "هل هي

مستعدة للموت معك؟"

"اسألها."

نظر البارون إلى لين. عيناه

الغائرتان اخترقتاها.

"أنتِ. المحامية. ماذا تريدين

من هذا كله؟"

تقدمت لين. وقفت بجانب

رايان. كتفها يلامس كتفه.

"لا أريد شيئًا."

"إذن لماذا أنتِ هنا؟"

"لأنه هنا."

ضحك البارون. ضحكة خالية من الفرح.

"الحب. مجددًا. الحب هو ما أوصلنا إلى هنا.

حبك لأمك. حبك للانتقام. حبك لها. وفي

النهاية... الحب هو ما سيدمرنا جميعًا."

"أو ينقذنا." قالت لين.

"لا. الحب لا ينقذ أحدًا. الحب يقتل. ببطء.

كما قتل أمه. كما قتل الرجل البريء. كما

سيقتلكِ."

ثم تحرك البارون. بسرعة. لم يتوقعها أحد.

لكنه لم يهاجم. ذهب إلى الطاولة في زاوية

الغرفة. فتح درجًا. أخرج مسدسًا.

تجمد رايان. لين أمسكت بذراعه.

لكن البارون لم يصوب عليهما. وضع

المسدس على الطاولة. بينهما.

"إذن. النهاية."

"ماذا تفعل؟" سأل رايان.

"ما كان يجب أن أفعله منذ عشر سنوات.

أعطيك خياراً."

"أي خيار؟"

"المسدس. فيه رصاصة واحدة. إما
أن تطلقها عليّ... أو على نفسك."
تجمد العالم.
"أنت مجنون."
"ربما. لكن هذه هي القاعدة
الأخيرة. القاعدة التي لم أعلمك
إياها."
"وما هي؟"
"في النهاية... أنت وحدك. دائمًا.
اختر."
وقف المسدس على الطاولة. أسود.
بارد. بين الماضي والحاضر. بين
المعلم والتلميذ. بين الحياة
والموت.
نظر رايان إلى المسدس. طويلاً.
ثم إلى البارون. ثم... إلى لين.
وفي عينيه... رأت الجواب.
"لا." همست. "لا تفعل."
"لين..."
"لا. هناك طريق آخر."
"ليس معه."

تقدم رايان نحو الطاولة. يده ارتفعت. نحو المسدس.

البارون ابتسم.

لكن رايان لم يأخذ المسدس. دفع المسدس. بعيدًا. نحو الحائط. سقط على الأرض. انزلق. بعيدًا عن متناول الجميع.

"لا." قال رايان. "هذه ليست النهاية التي أريدها."

"إذن ماذا تريد؟"

"أريدك أن تعيش."

تجمد البارون. لأول مرة. رأت لين شيئًا في عينيه. شيئًا غير متوقع. حيرة.

"أن تعيش... وتعرف أن تلميذك لم يعد وحشًا. أن تلميذك صار أقوى منك. ليس بالعنف. بل... بالرحمة."

"رحمة؟"

"نعم. أرحمك. أتركك هنا. في هذه الغابة. مع ذكرياتك. مع وحدتك. مع نهايتك التي ستأتي... وحيدًا."

مشى رايان نحو الباب. أمسك يد لين.

"هذه هي هزيمتك. ليس الموت. بل أن تعرف أنك فشلت.

فشلت في تحويلي إلى نسخة منك.

فشلت في تدميري. فشلت في كل شيء."

البارون كان واقفًا. جامدًا. عيناه على رايان. فمه مفتوح قليلاً. كأن الكلمات خانته.

"سأرحل الآن. سأعود إلى مدينتي.

إلى إمبراطوريتي. إلى حياتي.

وأنت... ستبقى هنا. في هذه الغابة.

في هذا الثلج. للأبد."

"لا يمكنك..."

"يمكنني. لأني لم أعد تلميذك. لم أعد ابنك. لم أعد وحشك. أنا... حر."

ثم فتح الباب. وخرج.

لين تبعته. لكن قبل أن تخرج،

التفتت. نظرت إلى البارون. الرجل الذي أرعب مدنًا. الرجل الذي صنع وحوشًا. الرجل الذي كان واقفًا الآن.

وحيدًا. في كوخ في غابة. في ثلج.

"الوداع."

وأغلقت الباب.

في الخارج، كان الثلج لا يزال يتساقط. لكن السماء بدأت تصفر. الفجر قادم.

وقف رايان في الفسحة. عيناه مغلقتان. وجهه مرفوع إلى السماء. رقاقات الثلج على شعره. على كتفيه. على وجهه.

"لين..."

"أنا هنا."

"انتهى.

"نعم."

فتح عينيه. نظر إليها.

"لم أكن أعرف أنني أستطيع... أن أمشي مبتعدًا."

"لكنك فعلت."

"لأنكِ كنتِ معي."

ابتسمت. وابتسم. ربما لأول مرة. ابتسامة حقيقية. ليست باردة. ليست محسوبة. ابتسامة رجل حر.

"تعالي. لنعد."

مشيا معًا. عبر الغابة. عبر الثلج. عبر الصمت الأبيض.

خطواتهما كانت خفيفة. كأن وزنًا
رُفع عنهما. كأن شيئًا مات... وشيئًا
آخر وُلد.
في نهاية الطريق، كانت السيارة
السوداء تنتظر. السائق فتح الباب.
دخلا. الأبواب أغلقت. المحرك بدأ.
ومن خلف زجاج السيارة، رأت لين
الغابة تبتعد. والأشجار. والثلج.
والماضي كله.
ونظرت إلى رايان. كان ينظر إليها.
"ماذا الآن؟" سألت.
"الآن... نعود."
"إلى أين؟"
"إلى البيت."

انتهى القسم الثاني: براغ.
يتبع في القسم الثالث:
المواجهة...

القسم الثالث:المواجهة

الفصل الحادي عشر: رماد

عادت الطائرة الخاصة إلى المدينة عند الغروب.

من نافذتها، رأت لين الأبراج الزجاجية، والجسور الفولاذية، والشوارع التي كانت قبل أسبوع عالمها كله. الآن، بدت كلها أصغر. أبعد. كأنها تنظر إلى حياة شخص آخر. امرأة أخرى كانت ترتدي بدلة رسمية وتذهب إلى المحكمة. امرأة أخرى لم تكن تعرف شيئًا عن براغ. عن الثلج. عن ليلة في غرفة 7.

رايان جلس قربها. لم يتحدث كثيرًا في الرحلة. كان ينظر من النافذة، لكن عينيه لم تكونا على المدينة. كانتا على شيء آخر. شيء في الداخل.

"بماذا تفكر؟" سألت.

"بأنه لم ينتهِ."

"تركته في الغابة."

"نعم. لكنه لم يمت.

"هل سيعود؟"

نظر إليها. عيناه الرماديتان كانتا هادئتين. لكن خلفهما، عاصفة لم تهدأ بعد.

"لا أعرف. لكنني أعرف شيئًا واحدًا."

"ماذا؟"

"أنه حتى لو عاد... لن يجد الفتى الذي تركه قبل عشر سنوات."

في المطار، كانت سيارة سوداء تنتظر. نفس المشهد. نفس السائق الصامت. لكن شيئًا ما اختلف. الهواء لم يعد مشحونًا بالخوف. صار مشحونًا بشيء آخر.

"إلى أين؟" سأل السائق.

"القصر." قال رايان. ثم توقف.

نظر إلى لين. "لا. إلى شقتها

أولاً."

"لا داعي..."

"أخوكِ هناك. لم تريه منذ

أيام. ولديكِ حياة. عمل. أشياء

يجب أن تعودي إليها."

"ألست بحاجة إليّ؟"

"أنا دائمًا بحاجة إليكِ. لكني لا

أريد أن أكون سجّانكِ."

لم ترد. نظرت من النافذة.

المدينة تمر. الناس تمشي.

حياة طبيعية. هل يمكنها

العودة إلى حياتها الطبيعية

بعد براغ؟ هل يمكنها ارتداء

بدلتها والذهاب إلى المحكمة

كأن شيئًا لم يحدث؟

السيارة توقفت أمام شقتها.

"سأرسل حراسًا. سيبقون هنا."

"لا أريد حراسًا."

"ليس خياراً."

نزلت. وقفت على الرصيف. التفتت

إليه.

"متى أراك؟"

"قريباً. هناك أمور يجب أن أنهيها.

الإمبراطورية لم تنم أثناء غيابي."

"رايان...

"نعم؟"

"لا تختفِ."

ابتسم. ابتسامة خفيفة.ابتسامة

تعب.

"لن أفعل."

أغلقت باب السيارة. تحركت

السيارة. وابتعدت. ووقفت هي

على الرصيف. تنظر إليها. ثم

صعدت إلى شقتها.

فتحت الباب. رائحة البيت. رائحة
حياتها القديمة. كل شيء كان في
مكانه. الأريكة الجلدية. كوب القهوة
البارد الذي تركته قبل أيام. الملفات
المبعثرة. كأن الزمن تجمد هنا. كأن
شيئًا لم يتغير.
لكن كل شيء تغير.
"لين!"
الصوت جاء من الداخل. مالك. أخوها.
خرج من غرفته. وجهه شاحب. عيناه
محمرتان. قلقة.
"أين كنتِ؟ حاولت الاتصال. لا إشارة.
لا جواب. ظننت..."
"ظننت ماذا؟"
"ظننت أنهم... أن شيئًا حدث لك."
"أنا بخير."
تقدمت إليه. عانقته. كان يرتجف.
ولدها الصغير. الذي تسبب في كل
هذا دون أن يدري. لكنه لا يزال
ولدها الصغير.

"مالك... لنجلس قليلاً. يجب أن نتحدث."

جلسا على الأريكة. نظر إلى الأرض. كان يعرف.

"الدين." قال. "أعرف. أعرف أنكِ اكتشفتِ."

"كيف عرفت؟"

"جاء رجال. قبل يومين. قالوا إن الدين سُدد. كله. لم أفهم. لكنهم قالوا: 'الوريث أرسلنا.'"

تجمدت لين.

"ماذا قالوا أيضًا؟"

"لا شيء. فقط... أن الدين انتهى. وأن عليّ ألا أعود إلى تلك الأماكن. أبدًا."

"و ماذا فهمت من هذا؟"

نظر إليها. عيناه كانتا مليئتين بالخوف. والأسئلة.

"فهمت أنكِ... تعرفين الوريث. وأنكِ... فعلتِ شيئًا لتنقذيني."

"نعم."

"ماذا فعلتِ؟"

صمتت. طويلاً. كيف تفسر له؟ كيف
تختصر براغ في جملة؟ كيف تشرح
البارون؟ والغرفة 7؟ والدم في الثلج؟
"فعلتُ ما كان يجب أن أفعله. أنت أخي."
"هل أنتِ بخير؟"
"نعم."
"تكذبين."
"نعم.
ضحكا. ضحكة قصيرة. مرة. لكنها كانت
شيئًا. جسرًا بين الماضي والحاضر.
"لين... أنا آسف. على كل شيء. كنت غبيًا.
أردت مالاً سريعًا. أصدقاء خطرين. لم
أفكر..."
"انتهى الآن."
"هل انتهى حقًا؟"
نظرت إليه. إلى عينيه القلقتين. إلى وجهه
الشاحب.
"لا أعرف. لكني سأحميك. مهما حدث."
"ومن يحميكِ؟"

السؤال علق في الهواء.

"شخص... قوي."

"الوريث؟"

"نعم.

"هل هو... آمن؟"

ابتسمت لين. ابتسامة حزينة.

"لا. ليس آمناً. لكنه... جيد."

في تلك الليلة، نامت في سريرها

لأول مرة منذ أيام. لكنه لم يكن

كسرير القصر. لم يكن كسرير

الغرفة 7. كان سريرها القديم.

في شقتها القديمة. في حياتها

التي لم تعد تشعر أنها لها.

وقبل أن تغمض عينيها، وصلتها

رسالة. من رقم مجهول. لكنها

عرفته.

"تصبحين على خير."

لم يكن مسجلاً باسم. لكنها

عرفت.

ابتسمت في الظلام. ونامت.

استيقظت على صراخ.

ليس صراخًا عاديًا. صراخ في

الشارع. صفارات إنذار. صوت

زجاج يتهشم.

ركضت إلى النافذة. في الأسفل،

كانت سيارة تحترق. ليست

سيارتها. ليست سيارة الحراس.

سيارة مدنية. لهبها يلعق ظلام

الفجر. ودخانها يتصاعد كشبح

أسود.

"مالك!"

ركضت إلى غرفته. كان واقفًا

عند نافذته. وجهه أبيض.

"ماذا يحدث؟"

"لا أعرف."

طرق على الباب.طرق قوي.و

عاجل.

"الآنسة خطيب!"

فتحت. كان أحد الحراس. وجهه

مشدود. عيناه قاسيتان.

"ماذا يحدث؟"

"هجوم. على المبنى. يجب أن

نأخذكما من هنا. الآن."

"من؟ من يهاجم؟"

"لا نعرف. لكن السيارة... كانت

رسالة."

"أي رسالة؟"

نظر إليها. للحظة، تردد. ثم قال:

"في داخلها... كان هناك شيء. جثة.

ورجل ميت."

تجمدت.

"من؟"

"كريم ناجي."

الاسم ضربها كرصاصة. كريم ناجي.

الرجل الذي اخرجته من السجن.

الرجل الذي مات في انفجار السيارة.

الرجل الذي ظنته ميتًا منذ أيام.

"هذا مستحيل. مات في الانفجار..."

"الجثة ليست محترقة. طازجة. قُتل

الليلة. ووُضع في السيارة."

" رسالة من من؟"

نظر الحارس إليها. عيناه كانتا تحملان

الجواب قبل أن ينطق به.

"البارون."

في تلك اللحظة، في قصر الوريث، كان

رايان واقفًا في غرفة أمه. الشموع

مضاءة. الصور على الجدران. وفي

يده... رسالة جديدة.

" ظننت أنك تركتني في الغابة. ظننت

أنك فزت.

لكنك نسيت القاعدة الأولى.

لا تثق بأحد. حتى بنفسك.

اللعبة لم تنتهِ. لقد بدأت للتو البارون"

أحرق رايان الرسالة في لهب الشمعة.

النار التهمت الورق. التهمت الكلمات.

لكنها لم تلتهم الحقيقة.

البارون لم يمت. لم يستسلم. لم يبقَ

في الثلج. عاد.

وهذه المرة... سيحرق كل شيء.

يتبع...

الفصل الثاني عشر: رسالة من الموتى

لم تصل لين إلى القصر حتى الفجر.

كانت السماء تنزف أول ضوء عندما اخترقت سيارتها الأبواب الحديدية. الحراس لم يوقفوا السيارة. كانوا يتوقعون أنها لين. أو ربما... كانوا يتوقعون الأسوأ.

ركضت عبر البهو. خطواتها كانت الصوت الوحيد على الرخام. الخدم كانوا في كل زاية القصر، وجوههم شاحبة، عيونهم منكسرة . في القصر، كان الهواء مختلفًا. كهربائيًا. كأن البرق على وشك أن يضرب.

وجدته في غرفة أمه.

واقفًا. ظهره للباب. كتفاه

مرتفعتان. رأسه منحنٍ.

الشموع كانت لا تزال

مضاءة، لكنها صارت

أقصر. الشمع الذائب على

الأرض كأنه دموع

متجمدة.

"رايان..."

استدار. وجهه كان...

ليس غاضبًا. ليس خائفًا.

كان شيئًا أسوأ. كان وجه

رجل عاد لتوه من النصر،

ليكتشف أن الحرب لم

تبدأ بعد.

"جئتِ."

"سمعت. كريم ناجي..."

"ليس ناجي فقط."

مشى نحوها. أمسك
يدها. قادها عبر ممرات
القصر إلى غرفة
المراقبة. شاشات
تغطي جداراً كاملاً.
كاميرات تراقب كل
زاوية، كل باب، كل
ظل. لكن اليوم، كانت
الشاشات تعرض شيئًا
آخر.
أشرطة فيديو.
"ماذا تريد أن تريني؟"
ضغط زراً. بدأ الفيديو.
كان شارعًا. ليلاً. كاميرا
مراقبة من زاوية عالية.
سيارة تتوقف. رجلان
يخرجان. يحملان جثة.
جثة كريم ناجي.
يضعانها في سيارة.
يركبان. و ينطلقان.

هذا حدث الليلة. لكن هذا...

ليس كل شيء."

ضغط زرًا آخر. فيديو آخر.

هذه المرة، مستودع. رجال

يتجمعون. وجوه مألوفة.

وجوه من الإمبراطورية.

من عصابته. من رجاله.

"ماذا يفعلون؟"

"يستمعون."

"لمن؟"

ضغط زرًا ثالثًا. ظهر وجه.

على شاشة. في المستودع.

وجه بندبة طويلة على

خده الأيسر.

البارون.

كان يتحدث. صوته يخرج

من مكبرات الشاشة في

غرفة المراقبة، يملأ الهواء

كدخان سام:

"...ورايان الموراتي ترك
الإمبراطورية لتتصدع. انشغل
بامرأة. انشغل بماضيه. بينما نحن...
نحن من بنينا هذا. نحن من نستحق
هذا. والآن، أدعوكم للعودة إلى
الحظيرة. إلى القيادة الحقيقية. إلى
البارون."
ثم تجمد الفيديو. وجه البارون على
الشاشة. مبتسمًا.
"إنه يسرق رجالي." قال رايان. صوته
كان هادئًا. هادئًا جدًا.
"كم عدد الذين رحلوا؟"
"لا أعرف. ربما النصف. ربما أكثر."
"ماذا سنفعل؟"
نظر إليها. في عينيه، رأت شيئًا لم
تره من قبل. ليس انكسارًا. بل...
قرارًا.
"لا شيء."
"ماذا؟"
"لا شيء. دعيه يأخذهم."
"لكنهم..."

"إن أرادوا البارون، فالبارون
لهم. أنا لن أتوسل. لن أقاتل
على رجال خائنون."
"إذن ماذا ستفعل؟"
"ما يجب أن أفعله منذ
البداية."
مشى نحو النافذة. الفجر كان
يغمر الحديقة. الطيور تبدأ
في الغناء. كل هذا الجمال...
والعالم ينهار.
"سأواجهه. ليس كتلميذ.
ليس كوريث. بل كرايان."
"وحدك؟"
"لا."
استدار. نظر إليها. وفي
نظرته، كان هناك كل شيء.
"لن أكون وحدي أبدًا. بعد
الآن."

في تلك الساعة، في
مستودع مهجور في الطرف
الآخر من المدينة، كان
البارون يجلس على كرسي
كأنه عرش. حوله، عشرات
الرجال. رجال الموراتي
السابقين. رجال خائنون.
رجال وجدوا في البارون أبًا
جديدًا.
"سادتي." قال، صوته ينساب
كزيت على ماء. "شكرًا
لثقتكم. شكرًا لولائكم."
رفع كأسًا. رفعوه معه.
" رايان الموراتي انتهى.
الإمبراطورية التي بناها...
ستعود إليّ. والتي بناها على
جثتي... سأبنيها على جثته."
همهمات موافقة. لكن وجهًا
واحدًا في الجمع كان صامتًا.

رجلاً في العقد الرابع.

عيناه ذكيتان. فمه

مغلق.

"سادتي... هناك أمر

واحد الوريث ليس

وحده."

"الفتاة." قال أحدهم.

"نعم. المحامية. لين

الخطيب. إنها... مثيرة

للاهتمام."

ضحكات. قهقهات.

"هل نقتلها؟"

"لا." قال البارون. عيناه

اشتعلتا. "لا تقتربوا

منها."

"لماذا؟"

"لأنها لي. هي مفتاح

تدميره."

وقف. مشى بينهم.

معطفه الطويل ينسحب

خلفه كجناح ملاك مظلم.

"في براغ، ظن أن الحرية
هي أن يمشي مبتعدًا.
ظن أنه انتصر. لكنه لم
يفهم بعد... أن النصر
الحقيقي هو أن تشاهد
كل شيء تحبه يموت.
ببطء. أمام عينيك."
"ومتى؟"
"قريبًا. لقد بدأنا بالفعل."
رفع يده. أشار. فُتح باب
المستودع. دخل رجلان.
بينهما... رجل ثالث. مقيد.
معصوب العينين.
"هذا هو خائننا الأول.
كان يعمل لحساب
الوريث. كان عيناً في
صفوفنا."
الرجل ارتجف.
"ماذا سنفعل به؟"

ابتسم البارون. الابتسامة التي تشوهها
الندبة.
"نعيده. إلى سيده. قطعة... قطعة."
ثم أخرج سكيناً. طويلاً. لامعًا. ومشى نحو
الرجل المقيد.
"فلتسمع براغ. وليسمع الوريث. البارون...
عاد."
في قصر المواراتي، كان رايان ولين في
المكتب. خرائط. أسماء. خطط. على الطاولة،
مسدسان. أسودان. باردان.
"هل أنتِ مستعدة؟" سأل.
"لأي شيء."
"ليس أي شيء. لما هو قادم."
نظر إليها. وفي نظراته، لم يكن هناك
أوامر. كان هناك سؤال.
"عندما بدأ هذا... قلتِ إنك لا تريدين أن
تكوني دمية. والآن، أنتِ لستِ دمية. أنتِ...
كل شيء."
"وأنا باقية."
"حتى النهاية."
"حتى النهاية."

أمسك يدها. القبضة

كانت دافئة. قوية.

" هناك شيء لم أخبركِ

به."

" ماذا؟"

" في براغ... في الغابة...

عندما تركته... لم يكن

قراري وحدي."

" بل؟"

" كان قراري... بسببكِ.

أنتِ من قلتِ لي إنني

لست وحشًا. أنتِ من

قالت إن الحب يلتئم. أنتِ

من... جعلتني أرى أن

هناك طريقًا آخر."

"إن خسرنا... إن حدث
شيء... أريدك أن تعرفي
أنكِ غيرتِ كل شيء.
حتى لو للحظة. حتى لو
لأيام. جعلتيني أشعر
أنني إنسان."
وقفت. يداها على
وجهه.
"لن نخسر."
"لا تعرفين."
"أعرف. أعرف لأني رأيت
ما في داخلك. أعرف
لأني رأيت ما في داخله.
هو فارغ. أنت لست
كذلك."
ابتسم. ابتسامة صغيرة.
حزينة. لكنها ابتسامة.
"إذن... فلنخطط."

في تلك الليلة، في غرفة

في القصر، لم ينما.

كانا يجلسان على الأرض.

خرائط حولهما. أسماء.

وجوه رجال. خونة.

أوفياء. خطط هجوم.

خطط دفاع.

"كم عدد الأوفياء؟" سألت

لين.

"أقل مما أحتاج. أكثر مما

يستحق."

"هل يكفي؟"

"يجب أن يكفي."

"وماذا عن أخي؟"

"أرسلته إلى مكان آمن. لا

يعرف أحد أين هو."

"وأنا؟"

"أنتِ... هنا. معي."

نظر إليها. الضوء الخافت جعل
وجهه يبدو أصغر. أكثر
هشاشة.
"لو كان هناك طريق لإبعادكِ...
لأبعدتكِ."
"لن أذهب."
"أعرف. لهذا لا أحاول."
ثم ساد الصمت. طويلاً. لكنه لم
يكن صمتًا فارغًا. كان مليئًا. بكل
ما لم يُقل. بكل ما قيل.
"غدًا." قال أخيرًا. "غدًا نتحرك."
"أين؟"
"إلى قلب كل شيء. إلى حيث
بدأت الإمبراطورية. إلى
المستودع الرئيسي. حيث
يختبئ. سأواجهه."
"ونحن.
"نحن."
أمسك يدها. القبضة كانت قوية.
دافئة. حية.

"لين... شكرًا.

"على ماذا؟"

"على كل شيء."

ثم نام. على الأرض.

بين الخرائط. تحت

ضوء المصباح الخافت.

نام نومًا عميقًا. بلا

كوابيس.

وجلست لين بجانبه.

تحرس نومه. تحرس

أحلامه. تعرف أن الغد

قد يكون الأخير. لكنها

لم تخف. لأن الخوف...

لم يعد له مكان هنا.

في الخارج، كان القمر

يضيء حدائق القصر.

أبيض. بارد. جميل.

وفي مكان ما، في مستودع مهجور، كان
البارون يخطط. رجاله حوله. سكينه في
يده. وانتقامه في قلبه.
اللعبة لم تنتهِ.
بل... ها قد بدأت.
يتبع...

الفصل الثالث عشر:

المواجهة

المستودع كان ميتًا.

هكذا بدا من الخارج. جدران

حديدية صدئة. نوافذ

مسدودة. أبواب مغلقة. لا

ضوء. لا صوت. لا حياة.

كأن المكان هُجر منذ

سنوات. لكن رايان كان

يعلم شيء مفيد.

قال رايان... "من هنا."

قادها عبر باب جانبي.

صدئ. ممرات صغيرة. كانا

في الداخل قبل أن تشرق

الشمس. الهواء كان باردًا.

رائحة العفن والحديد.

وفوق رؤوسهم، العوارض

الفولاذية تمتد كعظام

هيكل عملاق.

"كيف تعرف أنهم هنا؟"

"لأني كنت سأختبئ هنا."

تحركا في الظل. خطوات

خفيفة. صامتة. في نهاية

الممر، كان هناك ضوء

خافت. وأصوات. همهمات

رجال. وقليل من ضحكات.

وجدا مخبأ. خلف كومة من

الصناديق. نظرا.

كان هناك. البارون. جالسًا

على كرسي كأنه عرش.

حوله، ما لا يقل عن

ثلاثين رجلاً. بعضهم

كانوا رجال رايان سابقًا.

وجوه تعرفها لين من

ملفات الإمبراطورية.

وجوه تعرفها من غرفة

المراقبة.

"ثلاثون." همست لين.

"تقريباً."

"كم معنا؟"

"خمسة عشر. في الخارج.

ينتظرون."

"لا يكفي."

"أعرف."

"إذن ماذا سنفعل؟

نظر إليها. عيناه كانتا مضيئتان.

"ما فعله البارون بي في براغ؛

نقلب اللعبة."

"سادتي!"

صوت البارون ارتفع فجأة. توقف

الرجال عن الهمهمات. التفتوا

إليه.

"الليلة هي الليلة. الوريث يظن

نفسه آمناً في قصره. يظن أنه

فاز. لكننا سنزوره. سنطرق بابه.

وسندخل... كأصدقاء."

ضحكات.

"ثم... سنذبح كل من لا يبايع.
سنأخذ الإمبراطورية. سنأخذ
كل شيء."
"وماذا عن الفتاة؟" سأل
أحدهم.
"الفتاة..." ابتسم البارون.
"الفتاة ستأتي إلينا بنفسها.
عندما ترى حبيبها ميتًا عند
قدميها. عندما تعرف أنه لا
أمل. ستأتي."
قبضت لين على ذراع رايان.
غضبها اشتعل.
"الآن." همست.
"ليس بعد."
"متى؟"
"عندما يكون مشغولاً. عندما
يكون واثقًا أكثر من اللازم."
ثم حدث شيء لم يتوقعاه.
أحد الرجال قام. شاب. في
العشرينيات. وجهه كان
مضطربًا.

"سيدي البارون... أنا... لا أعرف."

"ماذا لا تعرف؟

"قتل الوريث. أنا... كنت معه.

كان قائدًا جيدًا. هل هناك طريقة

أخرى؟"

صمت. عميق. نظر البارون إلى

الشاب. طويلاً.

"تعالَ هنا."

تردد الشاب. ثم تقدم. وقف أمام

البارون. مرتجفًا.

"ما اسمك؟"

"دان."

"دان. جميل. تعرف، دان... أنا

أقدر الصدق. أقدر الأسئلة. لكني

لا أقدر... الخيانة."

ثم تحرك. بسرعة لم تكن

بشرية. أمسك رقبة الشاب. دفعه

إلى ركبتيه. أخرج مسدسًا.

ووضعه على جبهته.

"أي سؤال آخر؟

"لا... لا... من فضلك..."

"جيد."

ضغط الزناد.

لم يطلق النار. ضحك.

ضحكة عالية. وترك

الشاب يسقط على الأرض،

مرعوبًا.

"مزحة صغيرة. فقط

لأذكركم... الولاء ثمين."

ضحك الرجال الآخرون.

بعصبية. لكنهم ضحكوا.

أما الشاب... فنهض.

تراجع. وجهه أبيض. وفي

عينيه... شيء تغير. شيء

اسمه كراهية.

رأى رايان ذلك.

"الآن." همس. "هذا هو

مفتاحنا."

بعد ساعة، بدأ الهجوم.

لكنه لم يكن هجومًا. كان تسللاً.

خفيًا. صامتًا.

رايان أرسل إشارة إلى رجاله في الخارج. خمسة عشر رجلاً. لكنهم لم يكونوا وحدهم. في غضون ساعة، كان دان، الشاب الذي كاد البارون أن يقتله، قد فتح بابًا خلفيًا. وجاء معه خمسة آخرون. رجال خانهم البارون. رجال رأوا وجهه الحقيقي.

"عشرون." همس رايان "اصبحوا عشرين."

"هل يكفي؟"

"سنعرف."

انتظروا حتى منتصف الليل. الرجال في المستودع كانوا قد بدأوا يشربون. ثقتهم الزائدة اصبحت تعاديهم. البارون كان في مكتبه المؤقت، في الطابق العلوي من المستودع. يخطط. ينتظر.

ثم... سقط الضوء الأول.

ليس ضوءًا عاديًا. قنبلة دخان.

انفجرت في وسط المستودع.

صراخ. فوضى. رجال يركضون.

لا يعرفون من أين تأتي

الضربات.

"الآن!"

تحرك رايان. لين خلفه. رجاله

من حوله. اخترقوا الفوضى

كسكين في لحم.

لم تكن معركة. كانت إعدامًا.

بالعكس.

رجال البارون، المخمورون،

المرتبكون، لم يعرفوا من كان

يضرِب. البعض استسلم فورًا.

البعض قاتل. لكن الأغلب...

هربوا.

في عشر دقائق، كان المستودع

صامتًا. رجال البارون إما على

الأرض وإما هاربون.

لكن البارون... لم يكن بينهم

"أين هو؟" سألت لين.

نظر رايان إلى الطابق

العلوي. إلى المكتب المغلق.

"هناك."

صعد رايان الدرج الحديدي.

ببطء. وحيدًا. كانت لين

خلفه، لكنها توقفت عند

أسفل الدرج. عرفت أن هذه

لحظته. لحظة النهاية.

فتح الباب.

المكتب كان مضاءً بمصباح

واحد. البارون كان جالسًا

خلف مكتبه. كأن شيئًا لم

يحدث. كأن المستودع لم

ينهر حوله. كأن رجاله لم

يهربوا

"تأخرت."

صوته كان هادئًا. مثقفًا.

كأنهما صديقان يلتقيان

بعد غياب.

"انتهى." قال رايان.

"هل انتهى؟"

"رجالك هربوا. الإمبراطورية

لي. وأنت... وحيد."

ابتسم البارون. الابتسامة

المشوهة.

"أنا دائمًا وحيد. هذا ما

جعلني قويًا."

"لا. هذا ما جعلك ضعيفًا."

وقف البارون. مشى ببطء

نحو النافذة. القمر كان بدرًا.

ضوؤه سقط على وجهه.

جعله يبدو كشبح.

"في براغ... أخطأت."

"بماذا؟"

"أخطأت في تعليمك.

أخطأت في تركك تذهب."

"لم تتركني. أنا رحلت."

"لا. أنا تركتك. لأني

أحببتك."

تجمد رايان.

"لا تكذب."

"لا أكذب. أنت الوحيد

الذي أحببته. الوحيد الذي

رأيته كابن. والآن... أنت

هنا. لتقتلني. مجددًا."

"لن أقتلك."

"لماذا؟"

"لأن القتل... هو ما

تريده. تريد أن تموت.

تريد أن تثبت أنني مثلك.

أنني وحش."

"وأنت لست كذلك؟"

"لا."

وقفا. متقابلين. المعلم

والتلميذ. الأب والابن.

الماضي والحاضر.

"إذن ماذا ستفعل؟"

"سأتركك. هنا. في هذا

المستودع الفارغ. مع

ذكرياتك. مع وحدتك.

سأتركك تعيش."

"هذا ما قلته في براغ."

"لكنك عدت."

"نعم."

"فلا تعد."

مشى رايان نحو الباب. توقف.

لم يلتفت.

"وإن عدت... لن أتركك

تعيش."

ثم خرج. وأغلق الباب

في الخارج، كانت لين تنتظر.

عندما رأت وجهه، عرفت.

"انتهى؟"

"انتهى."

"هل... مات؟"

"لا. انه حيّ."

"هل سيعود؟"

نظر إليها. عيناه كانتا متعبتين. لكن
فيهما سلام.
"لا أعرف. لكني أعرف شيئًا واحدًا."
"ماذا؟"
"أنني لم أعد خائفًا منه."
ثم سارا معًا. عبر المستودع الفارغ. عبر
الجثث الهامدة. عبر الدم على الأرض.
خرجا إلى الهواء الطلق. الفجر كان
يكسر ظلام الليل. خيط ذهبي في
الشرق.
"لين..."
"نعم؟
"انتهت الحرب."
"وماذا الآن؟"
"الآن... نعيش."
أمسك يدها. ومشيا نحو السيارة. نحو
القصر. نحو البيت.
لكن في المستودع، في المكتب المضاء
بمصباح واحد، كان البارون لا يزال واقفًا
عند النافذة. ينظر إلى الفجر. إلى
الوريث وهو يبتعد. إلى الفتاة التي
سرقت كل شيء.

ثم ابتسم. وأخرج من جيبه هاتفًا. واتصل برقم واحد.

"جهزوا الطائرة."

"إلى أين، سيدي؟"

"إلى الشرق. هناك... سنبدأ من جديد."

ثم أغلق الخط. ونظر إلى النافذة. وإلى المدينة التي كانت له يومًا. وإلى المستقبل الذي لم يمت بعد.

"إلى اللقاء... يا بني."

يتبع...

القسم الرابع: النهاية

الفصل الرابع عشر: ما بعد العاصفة

ستة أشهر مرت.

ستة أشهر منذ وقف رايان في ذلك المستودع. ستة أشهر منذ ترك البارون واقفًا عند النافذة، حيًا، مهزومًا، لكنه حي. ستة أشهر من السلام. أو ما يشبه السلام.

في المدينة، تغيرت أشياء كثيرة. الإمبراطورية التي كانت تنزف صارت مستقرة. الخونة إما رحلوا أو عادوا تائبين. رجال رايان الأوفياء كوفئوا. والأعداء... اختفوا في الظل. ليس موتى. بل صامتين. ينتظرون. يراقبون.

لكن رايان لم يعد يخاف

الظل. الظل كان بيته

القديم. والآن... كان

يسكن في الضوء.

"لين!"

صوت مالك جاء من

الحديقة. كان الشتاء قد

انتهى. الربيع غطى أشجار

القصر باللون الأخضر.

مالك، الذي كان قبل أشهر

غارقًا في الديون والخوف،

صار مختلفًا. وجهه امتلأ.

عيناه صارتا أكثر إشراقًا.

كان يعمل الآن في شركة

المواراتي القابضة. قسم

24ي. تحت عيني أخته.

"ماذا هناك؟"

"رايان يطلبكِ. في

المكتب."

"قل له إني آتية."

مشت عبر حدائق القصر.

العشب الطويل تحت قدميها.

الهواء كان دافئًا. حلوًا. برائحة

الياسمين. منذ متى وهي تشعر

أن هذا القصر بيت؟ لا تعرف.

لكنه صار كذلك.

في المكتب، كان رايان جالسًا

خلف مكتبه. ليس كالسابق.

ليس مشدودًا. ليس باردًا. كان

يرتدي قميصًا أبيض بسيطًا.

شعره أطول قليلاً. وجهه...

مختلف. الندبة تحت عينه لا

تزال هناك. لكنها لم تعد تبدو

كجرح. صارت جزءًا من

ابتسامته.

"أرسلت في طلبي؟"

"نعم. تعالي."

أمسك يدها. أجلسها على

كرسي مقابل.

" هناك شيء يجب أن أخبركِ

به."

"خير أم شر؟"

"كلاهما.

صمت. نظر إلى النافذة.

إلى الحديقة. إلى مالك

الذي كان لا يزال هناك،

يضحك مع أحد الحراس.

"وصلتني معلومات.

البارون."

تجمدت لين.

"ماذا عنه؟"

"في الشرق. يبني شيئًا

جديدًا. ليس بحجم ما

كان هنا. لكنه... ليس

ميتًا."

"هل سيعود؟"

"لا أعرف. لكني لم أعد

خائفًا من عودته."

"لماذا؟؟"

"لأني أفهمه الآن."

نظر إليها. عيناه الرماديتان
كانتا هادئتين. حكيمتين.
"البارون ليس وحشًا. ليس
شيطانًا. هو... رجل عجوز.
وحيد. خائف من النهاية. يريد
أن يترك أثرًا. يريد ابنًا. يريد
استمرارًا."
"وأنت كنت ذلك الابن."
"نعم. لكني لم أعد."
وقف. مشى نحوها. جلس
على حافة المكتب.
"ولهذا... قررت شيئًا."
"ماذا؟"
"سأترك الإمبراطورية."
تجمدت.
"ماذا؟"
"ليس كلها. ليس فورًا. لكني
سأبدأ بالتراجع. سأعين
أشخاصًا أثق بهم. سأجعل
الشركة واجهة حقيقية،
نظيفة.

الإمبراطورية التي بناها

البارون على الدم...

سأحولها إلى شيء آخر."

"هل هذا ممكن؟"

"لا أعرف. لكني سأحاول."

صمتت. نظرت إليه. إلى

هذا الرجل الذي كان قبل

أشهر مجرد اسم مرعب.

الذي صار الآن... رجلاً.

فقط رجلاً.

"وماذا عنا؟" سألت.

"نحن... سنعيش."

"لين... هناك أمر آخر."

"ماذا؟"

"أخوكِ. مالك. لقد تحسن.

أرى فيه ذكاءً. أرى فيه

مستقبلًا. هل تمانعين لو...

أرسلته إلى الجامعة في

الخارج؟"

"أي جامعة؟"

"أفضل كلية إدارة أعمال في لندن.

كل شيء مدفوع."

" رايان..."

"ليس هدية. إنه استثمار. في

شخص يستحق."

دموع تجمعت في عينيها. ليس

حزنًا. بل امتنانًا. لشيء لم تكن

تتوقعه.

" شكرًا."

"لا تشكريني. أنا من يجب أن

أشكركِ."

ثم أمسك يدها. وقادها خارج

المكتب. إلى الحديقة. إلى مالك. إلى

الشمس.

في تلك الليلة، كان هناك حفل في

القصر.

ليس حفلاً كبيراً. مجرد أصدقاء.

أوفياء. ناس وقفوا مع رايان في

المستودع. رجال لم يخونوا. ونساء

انتظرن.

كان العشاء في الحديقة.

طاولات طويلة. شموع.

زهور. موسيقى هادئة من

مكان ما. رايان كان في

وسط الجميع. لم يعد

الوريث البارد. صار رجلاً

يضحك. يصافح. يشكر.

لين كانت تراقبه من بعيد.

مالك بجانبها.

" هل تحبينه؟" سأل مالك

فجأة.

تجمدت.

"لماذا تسأل؟"

"لأني أراكِ. ولأني... لم أركِ

هكذا من قبل."

"كيف؟"

"سعيدة."

لم تجب. لكنها ابتسمت.

في منتصف العشاء، وقف

رايان. رفع كأسه. الجميع

صمتوا.

"أصدقائي... إخوتي... قبل

ستة أشهر، كنا على حافة

الهاوية. كدنا نخسر كل شيء.

لكننا انتصرنا. ليس لأني كنت

قويًا. بل لأني وجدت شيئًا."

نظر إلى لين.

"وجدت شخصًا أراني أن القوة

ليست في العنف. بل في

الرحمة. وجدت شخصًا...

جعلني أريد أن أكون أفضل."

رفع كأسه نحوها.

"إلى لين. التي أنقذت

الوريث."

الجميع رفعوا كؤوسهم.

نخب. تصفيق. لين شعرت

بوجهها يحمر. نظرت إليه.

كان ينظر إليها. مبتسمًا.

دافئًا. حقيقيًا.

بعد العشاء، مشيا معًا في
حديقة القصر. القمر كان
بدرًا. النجوم كانت مرصعة
كجواهر على مخمل أسود.
النوافير كانت تهمس.
"لم يكن عليك أن تفعل
ذلك." قالت.
"أردت."
"لماذا؟"
"لأني أردت أن يعرف
الجميع."
"يعرفوا ماذا؟"
توقف. استدار إليها. أمسك
يديها.
"يعرفوا أنكِ لستِ مجرد
محامية. لستِ مجرد جزء
من القصة. أنتِ... القصة.

" رايان..."

"لين... في براغ. في غرفة

7. قلتِ لي إنني لست وحشًا.

قلتِ إن الحب يلتئم. وكنتِ

محقة.

ثم...قال بتردد.

"أحبكِ."

الكلمة سقطت كنجمة.

مضيئة. دافئة. حقيقية.

"أحبكِ. ليس لأني محتاج.

ليس لأني خائف. بل لأنكِ...

أنتِ."

دموعها سقطت. لم

تمسحها.

" وأنا أحبك."

"لين... هل تتزوجينني؟"

تجمد العالم. توقفت

النوافير. صمتت الريح.

"ماذا؟"

"تزوجيني. ليس لأنكِ

مضطرة. ليس لأني

الوريث. بل لأني... رايان.

فقط رايان."

"رايان..."

"إن كنتِ تريدين وقتًا..."

"لا."

"لا؟"

"لا... لا أريد وقتًا. جوابي

نعم."

ثم ضحكت. وضحك.

ورفعها بين ذراعيه. ودار

بها. والقمر يشهد. والنجوم

تصفق.

في تلك الليلة، ناما في
غرفته. في سرير. لم يكن
كسرير الغرفة 7. لم يكن
كسرير الفندق. كان
سريرهما. معًا. للأبد.
وقبل أن تغمض عينيها،
همست:
"ماذا سيحدث الآن؟"
"الآن... نعيش."
"وهل سيكون هناك
خطر؟"
"ربما. لكننا سنواجهه معًا."
ثم نامت.سعيدة. تحت
ضوء القمر.

لكن في الشرق، في مدينة
أخرى، كان البارون يجلس
في مكتب جديد. أصغر.
أكثر ظلمة. أمامه خريطة.
عليها علامات. مدن.
أسماء. خطط.
"سيدي... هل نتحرك؟"
"ليس بعد."
"لكن..."
"قلت ليس بعد."
نظر إلى صورة على
مكتبه. صورة قديمة.
بالأبيض والأسود. لرجل
وفتى. في براغ. منذ زمن
طويل.

"إنه سعيد الآن."

"نعم."

"سعيد بسببها."

"نعم."

"إذن... سننتظر. حتى تكتمل سعادته.

حتى يظن أن الخطر انتهى. حتى

ينسى."

"ثم ماذا؟"

ابتسم البارون. الابتسامة المشوهة.

"ثم... سنذكره."

ووضع الصورة على وجهها. على

المكتب. وغرق في الظلام.

يتبع...

الفصل الخامس عشر: جذور في الماء

الزفاف كان بسيطاً.

هذا ما أرادته لين. لا قصور مستأجرة. لا مئات المدعوين. لا فستان يكلف ثروة. فقط حديقة القصر.

لكن رايان أصر على شيء واحد: "الفستان سيكون من اختياري."

جاءها به قبل أسبوع.

صندوق أبيض. طويل. مربوط بشريط حريري.

وعندما فتحته، نسيت كيف تتنفس.

"رايان... هذا..."

"جربيه."

كان حريراً. أبيض كالثلج.
بسيطاً في قصته، معقدًا في
تفاصيله. ظهر مفتوح قليلاً.
وطرحة طويلة تنساب كشلال
من ضوء.
"كيف عرفت مقاسي؟"
"أعرف كل شيء عنكِ."
جربته في غرفتها. وقفت أمام
المرآة. لم تتعرف على نفسها.
المرأة في المرآة كانت جميلة.
ليست جميلة القاعات والمحاكم.
بل جميلة القلوب. جميلة الحب.
وعندما دخلت الحديقة في تلك
الليلة، على ذراع مالك، ورأت
عينيه... نسيت كل شيء.
كان واقفًا عند المسرح المؤقت.
شجرةعتيقة تظلله. لم يكن
يرتدي بدلة سوداء كالعادة.
اختار الأبيض.

قميص أبيض. وردة حمراء

في عروة سترته. وعيناه...

عيناه كانتا تلمعان.

"لين الخطيب." همست

القاضية، امرأة عجوز تعرف

رايان منذ كان طفلاً.

"هل تقبلين رايان المواراتي

زوجًا لكِ؟"

نظرت إليه. إلى الندبة

تحت عينه. إلى الشيب

المبكر في صدغيه. إلى

الرجل الذي كان وحشًا

وصار إنساناً.

"أقبل."

"وهل تقبل، رايان

المواراتي، لين الخطيب

زوجة لك؟"

"أقبل."

صوته انكسر قليلاً. للحظة.

ثم عاد.

بسلطة القانون... أعلنكما زوجًا
وزوجة."
ثم انحنى. وقبلها. والناس
تصفق. والنجوم ترقص.
والنوافير تغني.
في تلك الليلة، بعد أن رحل
المدعوون، جلسا وحيدين في
الحديقة. الشموع كانت لا تزال
مضاءة. الطاولات كانت لا تزال
مغطاة بالورود. والعالم كان
صامتًا.
"زوجتي." قال رايان. كأنه يجرب
الكلمة.
"زوجي."
ضحك. ضحكة حقيقية. دافئة.
"هل تعرفين... لماذا أحببتكِ؟"
"لماذا؟
"لأنكِ لم تخافي. أبدًا. حتى عندما
كنتِ مرعوبة. كنتِ تنظرين إليّ.
كنتِ تتقدمين.

كنت مرعوبًا أيضًا."

"أعرف."

أمسك يدها. الخاتم في

إصبعها كان بسيطاً. ذهبًا

أبيض. حجرًا واحدًا. صافيًا.

كأنه دمعة متجمدة.

"لكنك لم تهرب. مع أن كل

شيء قال لكِ اهربي."

"لم أستطع."

"لماذا؟"

"لأني رأيت ما في داخلك."

"وماذا رأيتِ؟"

"رأيت فتى يبحث عن أمه.

رأيت رجلاً يريد أن يكون

أفضل. رأيت... قلبًا."

نظر إليها. طويلاً. ثم قال

بصوت خفيض:

"أنتِ القلب الذي لم أعرف

أنني أملكه."

ثم حمَلَها بين ذراعيه. إلى حياة جديدة.

مرت سنة.

سنة من السلام. سنة من البناء. سنة من النسيان البطيء.

الإمبراطورية بدأت تتغير. رايان أوفى بوعده. الشركة القانونية توسعت. العقود صارت نظيفة. الدم القديم جُفف. والأيدي الجديدة... كانت نظيفة.

مالك أنهى سنته الأولى في لندن. كان يكتب كل أسبوع. كان مختلفًا. أكثر نضجًا. أكثر ثقة. الدفء عاد إلى صوته.

وفي القصر، كانت الحياة تزدهر. غرفة الأم لم تعد مغلقة. صارت مكتبة صغيرة. الكتب ملأت الرفوف حيث كانت الشموع. والصور بقيت. لكن لين أضافت صورًا جديدة.

صورتهما معًا. صور

مالك. صور الحياة.

لكن...

في بعض الليالي، كان

رايان يستيقظ فجأة.

يجلس في السرير. ينظر

إلى النافذة.

"ما بك؟" كانت تسأل.

"لا شيء."

"تكذب."

"حلم."

"عن ماذا؟"

"عن براغ. عن الثلج.

عنه."

ثم ينام مجددًا. لكن لين

كانت تبقى مستيقظة.

تنظر إلى السقف.

وتتساءل: هل انتهى

حقًا؟

في الشرق، كان البارون

يبني.

ليس إمبراطورية. بل شبكة.

خيوط عنكبوت تمتد ببطء. رجال

جدد. وجوه جديدة. مدينة جديدة.

وهدف واحد.

لم يتعجل. التعجل كان خطأه في

الماضي. هذه المرة... سينتظر.

"سيدي... التقارير جاهزة."

"اقرأ."

"الوريث مستقر. الإمبراطورية

تتحول إلى القانونية. لا أعداء. لا

تهديدات. والزوجة... حامل."

توقف البارون. للحظة. ثم ابتسم.

"حامل؟"

"نعم. شهرها الثالث."

"جميل.

"جميل يا سيدي؟"

وقف البارون. مشى إلى النافذة.

نظر إلى المدينة الجديدة. إلى

الأضواء. إلى المستقبل.

"الطفل... هو النهاية. أو
البداية."
"لا أفهم.
"الوريث يريد أن ينسى.
يريد أن يعيش. يريد أن
يكون أباً. وهذا... سيكون
نقطة ضعفه الأخيرة."
"ماذا سنفعل؟"
"لا شيء. بعد. دعيه يولد.
دعيه يكبر قليلاً. دعيه
يصبح كل شيء لأبيه."
"ثم؟"
استدار البارون. النار في
عينيه.
"ثم... سنأخذه."
في القصر، في تلك الليلة،
كانت لين تجلس في
الحديقة. يدها على بطنها.
الطفل يتحرك. رفرفة
صغيرة. كجناح فراشة.

"ماذا أفكر؟" همست

لنفسها.

رايان جاء من الخلف. جلس

بجانبها. يده على يدها. على

البطن. على الحياة.

"بماذا تفكرين؟" سأل.

"بأني سعيدة."

"وأيضًا؟"

"وأيضًا... خائفة."

"من ماذا؟"

"من أن السعادة لا تدوم."

نظر إليها. إلى عينيها

القلقتين. إلى بطنها

المنتفخ. إلى كل شيء

يملكه.

"لين... لقد تعلمت شيئًا."

"ماذا؟"

"أن السعادة لا تأتي.

السعادة تُصنع. كل يوم.

كل ساعة. كل لحظة."

"وإن جاء من يسرقها؟"

"سنقاتل."

"وإن خسرنا؟"

أمسك وجهها. رفع

ذقنها. نظر إليها.

"لن نخسر. لأننا معًا."

"أحبكِ."

"وأنا أحبك."

"وإن كان ولدًا... سنسميه

ريان."

"وإن كانت بنتًا؟"

"نسميها... أمل."

ابتسمت. واتكأت على

كتفه. والقمر كان بدرًا.

والنجوم كانت ترقص.

وفي داخلها... كانت

الحياة تنبض.

لكن بعيدًا، خلف البحار، خلف الجبال، في مدينة أخرى،

كان رجل بندبة على خده ينظر إلى صورة جديدة.

صورة لقصر. لرجل وامرأة. ولطفل لم يولد بعد.

"قريبًا..."

ثم أطفأ الضوء. وغاص في الظلام.

يتبع...

الفصل السادس عشر: المهد الفارغ

وُلدت الطفلة في ليلة ممطرة.

كان ذلك في الشهر التاسع. الريح كانت تعوي خارج القصر، والمطر ينهمر كأن السماء توشك أن تنشق. وفي غرفة الطابق العلوي، حيث حُوّلت إحدى الغرف إلى جناح ولادة، كانت لين تصرخ.

"لين... أنا هنا."

رايان كان عند رأسها. يمسك يدها. وجهه كان شاحبًا أكثر من وجهها. الوريث الذي واجه الموت عشرات المرات كان يرتجف كطفل أمام ألمها.

"لا أستطيع..."

"تستطيعين. أنتِ أقوى من أي شيء."

الطبيبة كانت هادئة. الممرضات يتحركن حول السرير. خارج الغرفة، كان مالك يمشي ذهابًا وإيابًا، وجهه متوتر، عيناه على الباب.

ثم... صرخة.

لكنها لم تكن صرخة ألم هذه
المرة. كانت صرخة حياة.
"إنها هنا." قالت الطبيبة.
ورفعتها. صغيرة. مبللة. تصرخ
بغضب الحياة. شعرها أسود
كشعر أمها. عيناها مغمضتان،
لكن رايان أقسم أنه رأى فيهما
لون السماء بعد المطر.
"أمل." همس. "اسمها أمل."
وضعوا الطفلة على صدر لين.
بكت. بكت دموعًا لم تذرفها منذ
زمن طويل. دموع الفرح. دموع
الخلاص.
"مرحبًا يا صغيرتي. مرحبًا."
انحنى رايان. قبل جبهة لين. ثم
جبهة الطفلة. كان يرتجف.
"شكرًا." همس. "شكرًا لكِ."
"انظر إليها. إنها... كاملة."
"مثلكِ."

كانت تلك الليلة أسعد ليلة في القصر
منذ عقود. الشموع أُضيئت. الحراس
ابتسموا. الخدم بكوا. مالك دخل ورأى
ابنة أخته لأول مرة، ووقف صامتًا، خائفًا
من أن يلمسها.
"أمل... اسم جميل." قال.
"أمل المواراتي." قال رايان. "ابنتي."
وحملها بين ذراعيه. نظر إليها. إلى
أصابعها الصغيرة. إلى أنفها الصغير.
إلى عينيها المغلقتين. وفي تلك
اللحظة... بكى.
"لين... أنا... لا أعرف كيف أكون أبًا."
"ستتعلم."
"أخاف."
"كلنا نخاف."
"لكن أباك... لم يكن هناك. والبارون...
كان ما كان."
"لهذا... ستكون أفضل. لأنك تعرف ما لا
يجب أن تكونه."
نظر إليها. دموعه على خديه. ثم أومأ.

"لن أُفشلها. أقسم."

مرت ثلاثة أشهر.

أمل كانت تنمو كزهرة في ربيع. عيناها فتحتا. كانتا رماديتين، كعيني أبيها. لكن دفء أمها كان فيهما. كانت تضحك.

تمسك أصابع أبيها. تنام على صدر أمها.

والقصر الذي كان باردًا صار دافئًا.

الجدران التي شهدت الموت شهدت الحياة.

رايان تغير. لم يعد الوريث الذي يجلس في المكتب حتى الفجر. صار يقضي ساعات في غرفة الطفل. يغني لها.

يحكي لها. يحملها في الحديقة ويريها النجوم.

"أتعرفين... هذه النجمة كانت تراقبني وأنا في براغ. والآن... تراقبكِ."

الطفلة كانت تحدق فيه. تبتسم.

في المساء، كانا يجلسان معًا. لين على الأريكة. أمل على صدرها. رايان بجانبهما.

النار في المدفأة. العالم هادئ.

"هل نحن آمنون؟" سألت لين فجأة.

نظر إليها. كان يعرف ما تعنيه.

"لم نسمع عنه منذ سنة ونصف."

"هذا ما يخيفني."

"لماذا؟"

"لأن صمته... يعني أنه يخطط."

صمت رايان. نظر إلى النار. ثم إلى أمل.

"لقد زدت الحراس. ضاعفت الأمن. لا أحد يدخل هذا القصر دون أن أعرف."

"وهذا يكفي؟"

وضع يده على يدها.

"لين... لن أسمح لأحد بلمسها."

"وإن كان هو؟"

"خاصة هو."

لكن في تلك الليلة، بينما كان القصر نائمًا، حدث شيء.

ليس شيئًا كبيرًا. ليس هجومًا. ليس انفجارًا. بل شيء أصغر. أخفت. أكثر دهاءً.

في غرفة المراقبة، نام أحد
الحراس. ليس نومًا طبيعيًا. كان
المخدر في قهوته. وفي تلك
الساعة، بينما الشاشات تعمل لكن
العيون مغلقة، تحرك ظل.
ليس في الداخل. في الخارج. في
الحديقة. عند النافذة المطلة على
غرفة أمل.
لم يدخل. لم يحاول. فقط...
نظر.
وفي الصباح، وجدت لين شيئًا
على عتبة نافذة غرفة الطفلة.
وردة. حمراء. طازجة. كالتي
وجدتها في الغرفة 7. قبل أكثر
من سنة.
ورسالة. صغيرة. مكتوبة بخط
أنيق. أسود:
"مبروك المولودة. جميلة. تشبه
أمها.
سأزوركن قريبًا
" البارون"

صرخت.

جاء رايان راكضًا. وجدها واقفة.

الوردة في يدها. الرسالة في

اليد الأخرى. وجهها أبيض.

عيناها مذعورتان.

"دخل القصر. دخل القصر!"

"مستحيل..."

"الرسالة. انظر."

قرأها. وتجمد. ثم سحق الورقة

في قبضته. عيناه اشتعلتا

بشيء لم تره منذ براغ.

"الحراس. سأقتلهم."

"ليسوا هم. إنه هو. إنه يعرف

كيف يدخل. إنه... شبح."

أمسكها. بقوة.

"لن يلمسها. لن يقترب منها."

"لكنه قريب. قريب جدًا."

نظر إلى أمل. كانت نائمة في
سريرها. لا تعرف شيئًا. لا
تعرف أن شبحًا من الماضي
يحيط ببيتها.
"سأنقلنا. إلى مكان آمن."
"لا يوجد مكان آمن. إن وجدنا
هنا... سيجدنا في أي مكان."
"ماذا تريدين أن أفعل؟"
نظرت إليه. عيناها كانتا
تقدحان.
"لن ننتظر. لن نختبئ. هذه
المرة... سنذهب إليه."
في الشرق، في مدينة أخرى،
كان البارون يجلس في مكتبه.
مبتسمًا. أمامه شاشة. عليها
صورة. صورة أمل. التقطت
بكاميرا خفية. في الحديقة. في
ضوء القمر.
"جميلة. كأمها."
"سيدي... لماذا لم تأخذها؟"

"لأن الأخذ ليس كافيًا. أريدهم أن يأتوا إليّ.
أريدهم أن يعرفوا أنني قادر. أنني أستطيع.
في أي لحظة."
"ومتى؟"
"عندما يصلون. سيصلون قريبًا. الغضب
سيقودهم. والحب... سيدمرهم."
وقف. مشى إلى النافذة.
"في براغ، اختار الرحمة. والآن... سيدفع
ثمنها."
ثم نظر إلى صورة أخرى. صورة قديمة.
لرجل وفتى. في غابة. في ثلج.
"لم يبقَ إلا النهاية."
يتبع...

الفصل السابع عشر: إلى الشرق

غادرا القصر في فجر اليوم التالي.

السماء كانت رمادية كحديد قديم. المطر يهطل بخفة، كدموع السماء التي لا تريد الاعتراف بالحزن. على المدرج، كانت الطائرة الخاصة تنتظر، محركاتها تعوي في الصمت.

لين وقفت عند باب الطيارة. التفتت إلى الوراء. إلى القصر الذي صار بيتها. إلى النوافذ. إلى الحديقة. وفكرت في كل ما حدث هنا.

"لين." صوت رايان كان هادئًا. "حان الوقت."

"أعرف."

صعدا إلى الطائرة. في الداخل، كانت المربية تحمل أمل. الطفلة كانت نائمة، لا تعرف شيئًا عن العاصفة القادمة. لين أخذتها. ضمتها إلى صدرها. رائحة الطفلة كانت الدواء الوحيد.

"سنحط في مطار صغير. خارج المدينة التي يوجد فيها."

قال رايان وهو يفتح خريطة على
الطاولة. "لدي رجال هناك. القليلون
الذين بقوا أوفياء. سيقابلوننا."
"وماذا بعد؟"
"نجده."
"وكيف نعرف أين هو؟"
نظر إليها. عيناه كانتا تحملان اعترافاً
لم ينطق به بعد.
"أعرف أين هو."
"منذ متى؟"
"منذ شهرين."
تجمدت.
"شهران... وأنت تعرف أين هو؟ ولم
تخبرني؟"
"لأني كنت أريد أن أنسى. أردت أن
أعيش. أردت أن أصدق أنه انتهى."
"لكنه لم ينتهِ."
"لا. لم ينتهِ."
جلس مقابلها. أمسك يديها. الطفلة
بينهما، نائمة، كجسر بين قلبين.

"لين... كنت أخاف. ليس منه. بل من نفسي. من أنني إن ذهبت إليه... سأعود وحشًا. كنت أخاف أن أفقد ما بنيناه."

"والآن؟"

"الآن... أنا أكثر خوفًا من أن أفقدكما."

رفع يده. لمس خد الطفلة. إصبعه كان خشنًا، لكن لمسته كانت رقيقة كالحرير.

"أمل... هي كل شيء. أنتِ كل شيء. ولن يلمسكما."

"وماذا ستفعل عندما تجده؟"

صمت. نظر من النافذة. الغيوم كانت تكثف. الطائرة اخترقتها.

"ما كان يجب أن أفعله منذ عشر سنوات."

حطت الطائرة في مطار صغير عند الغروب.

المكان كان مهجورًا تقريبًا. مهبط واحد. برج مراقبة صغير. ريح باردة تحمل رائحة بحر بعيد. في نهاية المهبط، كانت هناك سيارتان. سوداوان. ورجال. أربعة فقط.

"سيدي." تقدم أحدهم. كان في
الأربعين. وجهه متجعد. عيناه
ذكيتان. اسمه عزيز. كان الرجل الذي
أدار أعمال رايان في الشرق لسنوات.
"عزيز."
"جاهزون. لكن... ليس لدينا الكثير من
الرجال. البارون... لديه جيش صغير."
"لست بحاجة إلى جيش. أحتاج موقعًا."
"نعرف موقعه. قصر قديم. خارج
المدينة. على البحر."
"قصر؟"
"نعم. يسميه 'بيت الأب' . غريب.
أليس كذلك؟"
نظر رايان إلى لين. كلاهما تذكر.
البارون. الذي كان يسمي نفسه أبًا.
"خذنا إليه."
الطريق إلى قصر البارون كان طويلاً.
معبدًا. يمر عبر غابات كثيفة وتلال
صخرية. البحر كان يظهر ويختفي
بين الأشجار. رماديًا. هائجًا.

في السيارة، كانت لين صامتة. أمل نائمة في حجرها. المربية جلست في الأمام. رايان بجانبها، ينظر من النافذة، فكه مشدود.

"بماذا تفكر؟" سألت.

"بأول مرة رأيته."

"في الحانة. في براغ."

"نعم. كنت جائعًا. غاضبًا. وحيدًا. دخل رجل بمعطف طويل وندبة على خده. جلس أمامي. قال: 'أعرف من أنت.'"

"وماذا قلت؟"

"لا شيء. كنت خائفًا."

"خائفًا منه؟"

"لا. خائفًا من أنه... قد يكون الجواب."

صمت. ثم تابع:

"كل حياتي كنت أبحث عن أب. مات أبي قبل أن أولد. أمي ماتت وأنا في العشرين. وعندما ظهر هو... ظننت أن الله أخيرًا رحمني."

"لكنه لم يكن رحمة."

"كان لعنة.

أمسكت يده.

"أنت لست لعنة. أنت أب الآن. أب

حقيقي. وهذا... هو الفرق."

نظر إليها. إلى الطفلة. إلى كل

شيء.

"لين... مهما حدث... أريدك أن

تعرفي أنني أحبكِ. أحبكما."

"لا تتحدث هكذا."

"يجب أن أتحدث. لأنني لا أعرف..."

"لا تقل لا تعرف."

وضعت إصبعها على خده.

"سنعود. معًا. إلى بيتنا. إلى حياتنا.

هذه ليست نهاية."

ثم انحنت. قبلت جبهته. كطقس

صار مقدسًا بينهما.

وصلوا عند منتصف الليل.

قصر البارون كان مختلفًا عن قصر المواراتي. لم يكن فخمًا. كان قديمًا.بني على جرف صخري يطل على البحر. الأمواج كانت تضرب الصخور في الأسفل كدقات قلب غاضب. النوافذ كانت مضاءة. لكن الضوء كان أصفر. مريضًا. كأن المكان مسكون.

"سيدي." قال عزيز. "الحراس في الخارج لا يقلون عن عشرين. وفي الداخل... لا نعرف."

"لا بأس."

"هل تريدنا أن نهاجم؟"

"لا. هذه المرةسأدخل وحدي."

"رايان!" صوت لين كان حادًا.

لين

"لا. يكفي. في كل مرة تدخل وحدك. في كل مرة تحاول حمايتي. لكني لست ضعيفة. وأنا معك. حتى النهاية.

نظر إليها. طويلاً. ثم أومأ.

"معًا."

تركا أمل مع المربية. في

مكان آمن. بعيدًا. وقفا أمام

بوابة القصر الحديدية. الريح

كانت تعوي. البحر يزأر. رايان

رفع يده. طرق الباب.

انفتح.

كان هناك رجال. لكنهم لم

يهاجموا. كانوا واقفين.

صامتين. كأنهم يتوقعون.

"الوريث."

"خذوني إليه."

سارا عبر ممر طويل. الجدران

كانت حجرية. المشاعل

مضاءة. لا لوحات. لا زهور.

فقط ظلال تتراقص على

الحجر. وفي نهاية الممر، باب

ضخم. خشبي. مفتوح.

ودخلا.

كانت قاعة كبيرة. سقفها عالٍ.

نوافذها تطل على البحر الأسود.

في وسطها، كرسي واحد. كبير.

كأنه عرش.

جالس عليه البارون.

كان أكبر مما تذكراه. أنحف. شعره

أبيض أكثر. لكن عينيه... كانتا

تقدحان بنفس النار القديمة. والندبة

على خده بدت أرجوانية تحت ضوء

المشاعل.

"أخيرًا."

صوته كان ضعيفًا قليلاً. لكنه لا

يزال مثقفًا. لا يزال هادئًا كسم.

"جئنا." قال رايان.

"أرى ذلك. ومعكَ الزوجة. أين

الطفلة؟

"بعيدة عنك."

ابتسم البارون.

"حكيم. لكن... غير ضروري. لم

أكن أنوي أخذها."

"ماذا تريد إذن؟"

"قلتها قبل سنوات. في براغ. في
الغابة. أريد... النهاية."
وقف. مشى ببطء نحو النافذة. ظهره
لهما. البحر في الأسفل كان هائجًا.
"أنا متعب يا رايان. متعب من
الكراهية. متعب من الانتقام. متعب
من كل شيء."
"وماذا عنا؟"
"أنتما... مختلفان. أنتما تملكان شيئًا لم
أملكه أبدًا."
"ما هو؟"
استدار. نظر إليهما. وفي عينيه، رأت
لين شيئًا لم تتوقعه. حزنًا.
"الحب. الحب الحقيقي. ليس حب
السيطرة. ليس حب التملك. بل الحب
الذي... يضحي."
صمت. مشى نحوهما.
"لهذا... أوقفت خططي. لهذا... لم
آخذ الطفلة. كنت أستطيع. في أي
لحظة. لكني... لم أستطع."

"لماذا؟"

"لأنك ابني. الوحيد. وابنتك... هي

حفيدتي."

تجمد رايان.

"لا تقل ذلك."

"أقوله. لأنها الحقيقة. لقد كرهتك. أجل.

أردت تدميرك. أجل. لكني أيضًا... أحببتك.

وما زلت."

وقف أمام رايان. المسافة بينهما تلاشت.

"في براغ... علمتك القواعد. لا تثق. لا

تحب. لا تتردد. لكنك... كسرت كل قاعدة.

ووجدت شيئًا لم أجده. وجدت إنسانية."

"وماذا تريد الآن؟"

نظر البارون إليه. ثم إلى لين. ثم إلى

النافذة. إلى البحر.

"أريد... أن أموت."

ساد الصمت. عميقًا. كأن القاعة تحبس

أنفاسها.

"لا أريد الانتقام. لا أريد الحرب. أريد

فقط... السلام."

"وماذا تطلب مني؟"

"لا شيئًا. فقط... سامحني."

الكلمة سقطت. ثقيلة. أثقل من أي رصاصة.

نظر رايان إليه. طويلاً. إلى الرجل الذي دمره.

الذي صنعه. الذي كان يطارده طوال هذه

السنين. إلى الرجل الذي كان أقرب إلى أب.

وأبعد عن أب.

ثم قال:

"لا أستطيع."

"أعرف."

"لكني... سأحاول."

ثم فعل شيئًا لم يتوقعه أحد. مد يده. وأمسك

يد البارون.

"لن أقتلك. لن آخذ إمبراطوريتك. لن أحقد

عليك. سأتركك هنا. مع بحرك. مع شيخوختك.

مع نهايتك."

"رايان..."

"لكني لن أسامحك. ليس بعد. ربما... يومًا ما."

ثم ترك يده. واستدار. ومشى نحو الباب.

لين بجانبه.

عند المدخل، توقف. لم يلتفت. لكنه قال:

"وداعًا... أيها الأب."

ثم خرجا.

في الخارج، كانت الريح قد هدأت. البحر صار أكثر سكونًا. الفجر كان يكسر الظلام في الأفق.

"هل انتهى؟" سألت لين.

"أظن ذلك."

"هل مات؟"

"لا. لكن شيئًا آخر مات. شيئًا... بيننا."

أمسكت يده. وقفت أمامه. نظرت إلى عينيه

"أنت بخير؟"

"نعم. لأول مرة... منذ زمن طويل."

"لماذا؟"

"لأني لم أقتله. لأني... اخترت ألا أكون مثله."

ثم سارا معًا. إلى السيارة. إلى الطفلة. إلى البيت.

لكن في القاعة، كان البارون لا يزال واقفًا. ينظر إلى الباب المغلق. إلى يده التي لمسها رايان.

"وداعًا... يا بني."

ثم جلس على عرشه. وأغلق عينيه.

يتبع...

الفصل الثامن عشر: العودة

عادا إلى القصر عند الغروب.

السماء كانت صافية. ذهبية. كأن العالم يبارك عودتهما. في السيارة، كانت لين تحمل أمل.

الطفلة استيقظت للتو. عيناها الرماديتان تنظران حولها بفضول. لم تعرف شيئًا عن الرحلة. عن الخطر. عن الجد الذي كاد أن يأخذ كل شيء.

"انظري." قالت لين. "هذا بيتنا."

فتحت أمل عينيها أكثر. كأنها تفهم.

في القصر، كان الجميع ينتظر. مالك كان واقفًا عند البوابة. عندما رأى السيارة، ركض. وجهه كان قلقًا.

"أخيرًا! هل أنتما بخير؟"

"بخير." قال رايان. "كلنا بخير."

دخلوا القصر معًا. الجدران الحجرية بدت مختلفة. أكثر دفئًا. أكثر ترحيبًا. كأن البيت نفسه يعرف أن شيئًا انتهى.

في غرفة أمل، وضعت لين الطفلة في سريرها. نامت فورًا. كأنها تعرف أنها في أمان.

"نم جيدًا يا صغيرتي."

ثم أغلقت الباب بهدوء. ونزلت إلى المكتب.

كان رايان واقفًا عند النافذة. الحديقة كانت مضاءة بالغروب. النوافير تهمس. العشب يلمع.

"بماذا تفكر؟" سألت.

"بأني حر."

"حر من ماذا؟"

"منه. من الماضي. من كل شيء."

جلس على الأريكة. سحبها بجانبه. أمسك يدها.

"عندما دخلنا قصره... توقعت أن أقتله. توقعت أن ينتهي كل شيء بالدم. كما بدأ."

"لكنك لم تفعل."

"لا. لأني رأيته. حقًا رأيته."

"وماذا رأيت؟"

"رأيت رجلاً عجوزاً. خائفًا. وحيدًا. ينتظر الموت. لا إمبراطورية له. لا أبناء. لا أحباء. فقط... الفراغ."

"وهذا أخافك؟"

"لا. هذا... حررني."

انحنت. وضعت رأسها على كتفه.

أنفاسه كانت بطيئة. هادئة. كبحر

بعد عاصفة.

"لقد قال لي شيئًا قبل أن نخرج."

تابع رايان. "قال: 'الحب هو الشيء

الوحيد الذي لم أستطع سرقته

منك.'"

"وأنت؟"

"أنا... أعطيته إياه."

"أعطيته ماذا؟"

"الغفران. ليس كاملاً. ليس سهلاً.

لكنه... بداية."

رفعت رأسها. نظرت إليه. إلى

عينيه الرماديتين. إلى الندبة. إلى

الرجل الذي صار.

"أنا فخورة بك."

"لماذا؟"

"لأنك لم تصبح مثله. لأنك اخترت

طريقًا آخر. لأنك... بقيت إنسانًا."

ابتسم. ابتسامة صغيرة. دافئة.

"بسببكِ."

"لا. بسببك أنت."

ثم ساد الصمت. لكنه لم يكن

صمتًا فارغًا. كان مليئًا. بكل ما

قيل. بكل ما لم يُقل.

بعد ساعة، انضم إليهما مالك.

كان يحمل صينية. ثلاثة أكواب

شاي. وجلس معهما.

"إذن... ماذا الآن؟" سأل.

"الآن... نعيش." قال رايان.

"فقط؟"

"فقط. وهذا كثير."

ضحك مالك. ضحكة خفيفة.

"في لندن، تعلمت شيئًا. تعلمت

أن الحياة... ليست معركة. ليست

انتقامًا. بل... لحظات. كهذه."

"أنت تكبر." قالت لين. "أسرع مما

أظن."

"لأني كان لدي معلم جيد."

نظر إلى رايان. لم يقل شيئًا. لكن عينيه
قالتا كل شيء.
في تلك الليلة، نام الجميع في سلام.
القمر كان بدرًا. النجوم كانت ساطعة.
والريح كانت ناعمة. كأن العالم أخيرًا...
تصالح مع نفسه.
مرت ثلاثة أشهر.
في أحد الأيام، وصلت رسالة. من
الشرق. مكتوبة بخط غير أنيق. مختلف
عن خط البارون.
فتحها رايان. قرأها. ثم سلمها إلى لين.
"إلى الوريث رايان الموراتي،
نبلغكم بوفاة السيد... البارون.
توفي في نومه. قبل ثلاثة أيام. هادئًا.
وحيدًا.
طلب في وصيته أن تبلغوا. وأن
تعرفوا أنه... في النهاية... قال اسمك.
لا أملاك له. لا أموال. فقط هذا القصر
على البحر. وقد أوصى به... لكم.

لم يقل رايان شيئًا. طوى الرسالة.

وضعها في درج. أغلق الدرج.

" هل أنت حزين؟" سألت لين.

"لا."

" غاضب؟"

"لا.

" إذن ماذا؟

نظر إليها. عيناه كانتا جافتين.

"لست حزيناً. ولست غاضباً. أنا... فارغ."

" فارغ؟"

"فارغ من الكراهية. فارغ من الخوف.

فارغ من الماضي."

وقف. مشى إلى النافذة. إلى الحديقة.

إلى أمل التي كانت تلعب مع مالك على

العشب.

"لقد مات. أخيراً. مات. ولم أعد أشعر

بشيء."

" هل هذا جيد؟"

"نعم. هذا... سلام."

ثم خرج إلى الحديقة. حمل أمل بين
ذراعيه. رماها في الهواء. ضحكت.
ضحك. ووقف مالك يراقب. مبتسمًا.
لين بقيت في المكتب. نظرت إلى الدرج
حيث الرسالة. ثم إلى الحديقة. إلى
زوجها. إلى ابنتها. إلى أخيها. إلى الحياة.
ثم همست:
"انتهى."
يتبع...

الفصل التاسع عشر: حوار في الحديقة

في أحد المساءات، بعد أن نامت أمل، جلس رايان ولين في الحديقة. تحت شجرة الستارية. مكان زفافهما.

"لين..."

"نعم؟"

"هل تذكرين عندما قلنا إننا لا نعرف كيف تنتهي القصص؟"

"نعم."

"أظن أن قصتنا... انتهت."

"انتهت؟"

"ليس كما في الأفلام. ليس بموت. ليس بانفجار. بل... بهدوء."

أمسك يدها.

"لقد انتصرنا. ليس على البارون فقط. بل على كل شيء. على الخوف. على الكراهية. على الوحدة."

"وماذا الآن؟"

"الآن... لا شيء."

"لا شيء؟"

"لا شيء... هو كل شيء. العيش. الهدوء. تربية أمل.
رؤية مالك يصير رجلاً. رؤية الزهور تنمو."

ضحكت.

"هذا... عادي.

"نعم. وهذا أجمل ما فيه."

نظر إلى السماء. إلى النجوم.

"طوال حياتي... كنت أبحث عن دراما. عن معارك. عن
أعداء. ظننت أن الحياة... هي هذا."

"وماذا الآن؟"

"الآن... أعرف أن الحياة... هي هذه اللحظة. هنا.

معكِ."

انحنت. قبلته.

"أحبك.

"وأنا أحبك."

ثم جلسا في صمت. طويل. جميل. تحت النجوم.

تحت الزهور. تحت السلام.

يتبع...

الفصل العشرون: الوجه خلف القناع

بعد عشر سنوات.

في ليلة ماطرة كتلك التي وُلدت فيها أمل، كانت المدينة تلمع تحت المطر كوحش أسود بعيون زجاجية. قصر المواراتي كان هادئًا. الأنوار خافتة. الحراس في مواقعهم. السلام كان لا يزال يسكن الجدران الحجرية.

لكن في عمق المدينة، في حانة قديمة تحت الأرض، كان هناك اجتماع لم يُدعَ إليه أحد.

سبعة رجال جلسوا حول طاولة خشبية. وجوههم كانت مألوفة. وجوه من الماضي. من الإمبراطورية القديمة. رجال خانوا رايان في الماضي، رجال عادوا إلى الظل بعد سقوط البارون، رجال نجوا بطريقة ما

"هل أنتم متأكدون من هذا؟" همس أحدهم.

"متأكد."

"لكن الوريث... لقد تقاعد. لم يعد في اللعبة.

"هذا ما يظنه.

صمت. الجميع تبادلوا نظرات

قلقة.

ثم فُتح باب الحانة. ببطء. ودخل

رجل.

لم يكن طويلاً. لم يكن ضخمًا.

كان نحيفًا، يرتدي معطفًا أسود

طويلاً، وقبعة تخفي وجهه. مشى

بخطوات واثقة. هادئة. كأنه

يعرف المكان منذ زمن.

"جود."

الاسم نُطق كتعويذة.

خلع الرجل قبعته. تحته، كان

وجهه... مختلفًا. ليس وجهًا

تعرفه. ليس وجهًا طبيعيًا. كان

يرتدي قناعًا. ليس قناعًا كاملاً.

نصف قناع. أسود. يغطي الجزء

العلوي من وجهه. عيناه فقط

كانتا ظاهرتين. عينين بلون لا

يُنسى. عسليتين. فيهما نار باردة.

"جود الحمصي."

جلس. لم يتكلم. نظر إلى كل واحد منهم. واحدًا واحدًا. كأنه يحفظ وجوههم. كأنه يذكرهم بشيء. بشيء قديم. بشيء لم يُغفر.

"جمعتكم هنا..." صوته كان هادئًا. عميقًا. كصوت نهر تحت الأرض.

"...لأن لكم ديناً."

"دين؟ أي دين؟" سأل أحدهم.

"دين قديم. من زمن الإمبراطورية. من زمن البارون."

"نحن لا نعرفك."

"لا. لا تعرفوني. لكنكم تعرفون ما فعلتم."

وقف. مشى حول الطاولة. ظله كان طويلاً على الجدران الحجرية.

"قبل خمس عشرة سنة، كان هناك رجل. شاب. أراد أن يكون جزءًا من عالمكم. أراد أن يثبت نفسه. فماذا فعلتم؟"

صمت.

"اتهمتموه بالكذب. قلتم إنه سرق. قلتم
إنه خان. أخذتم كل شيء منه. اسمه.
حياته."
"عمّن تتحدث؟"
توقف جود. نظر إلى المتحدث. اقترب
منه. انحنى حتى صار وجهه قريبًا من وجه
الرجل. القناع الأسود كان يعكس ضوء
الشمعة.
"عنّي."
تجمد الدم في عروق الجميع.
"أنت... أنت ذلك...؟"
"نعم. أنا الذي وصفتموه بالكذاب. أنا الذي
احتقرتموه. أنا الذي ظننتم أنني ميت."
"لكننا... لم نكن نعرف..."
"بالطبع لم تكونوا تعرفون. لأنكم لم
تسألوا. لأنكم لم تتحققوا. لأنكم...
ببساطة... دمرتم حياة إنسان. ثم نسيتم."
مشى عائدًا إلى كرسيه. جلس. فتح
صندوقًا صغيرًا على الطاولة. أخرج منه
ورقة قديمة. متآكلة. وضعها أمامهم.

" هذه... أدلة. أدلة على براءتي. أدلة
على من كان الخائن الحقيقي.
أدلة... على أنكم دمرتم الرجل
الخطأ."
نظروا إلى الورقة. وجوههم
شحبت.
" ماذا تريد؟" سأل أحدهم.
"العدالة."
" عدالة؟ بعد كل هذه السنين؟"
"العدالة لا تنتهي صلاحيتها."
وقف. نظر إليهم. عيناه العسليتان
كانتا تقدحان.
" ستذهبون إلى الوريث. ستخبرونه
بكل شيء. كل ما فعلتم. كل ما
أخفيتم. كل ظلم ارتكبتموه باسم
الإمبراطورية."
" سيدمرنا."
" نعم."
"لماذا نفعل هذا؟"
" لأنكم إن لم تفعلوا... سأدمركم
بنفسي."

ساد الصمت. المطر في الخارج كان
يزداد قوة. الرعد يهدر.
"ولكن... لماذا الوريث؟ لماذا تريد
إخباره؟
نظر جود إليهم. ولأول مرة...
ابتسم. ابتسامة رقيقة. مرة. خالية
من الفرح.
"لأن الوريث... هو الرجل الوحيد
الذي كان يمكن أن ينصفني لو
عرف الحقيقة. الرجل الوحيد الذي
لم يشارك في تدميري. الرجل
الوحيد... الذي يستحق أن يعرف."
ثم استدار. ارتدى قبعته.
"أمامكم أسبوع."
"وماذا عنك؟ ماذا ستفعل؟"
توقف عند الباب. لم يلتفت.
"سأعود. قريبًا. وعندما أعود...
سيعرف الجميع من هو جود حقًا."
ثم فتح الباب. واختفى في المطر.

في تلك الليلة، في قصر المواراتي، كان رايان جالسًا في مكتبه. أمل كانت نائمة. لين كانت في الخارج، في الحديقة الشتوية، تقرأ كتابًا تحت ضوء المصابيح.

طرق الباب.

"ادخل."

كان عزيز. الرجل الذي صار اليد اليمنى لرايان في كل شيء.

"سيدي... هناك شيء غريب."

"ماذا؟"

"رجال. من الماضي. من الإمبراطورية القديمة. طلبوا مقابلتك."

"رجال من الماضي؟ من؟"

"أولئك الذين... اختفوا بعد سقوط البارون."

تجمد رايان.

"ماذا يريدون؟"

"لا أعرف. لكنهم قالوا إنهم جاؤوا... ليعترفوا."

"بماذا؟"

"بشيء حدث منذ زمن طويل. عن رجل. عن ظلم."

وقف رايان. مشى إلى النافذة. المطر كان ينهمر. السماء كانت سوداء. وفي مكان ما... كان هناك شيء يتحرك. شيء من الماضي. شيء لم يمت بعد.

"أدخلهم."

دخل الرجال. سبعة. وجوههم كانت مألوفة. وجوه رآها منذ زمن. في المستودع. في براغ. في أماكن نسيها.

"سيدي الوريث..."

"لم أعد الوريث. فقط رايان."

"كما تريد. جئنا... لنخبرك بشيء."

"ماذا؟"

نظر بعضهم إلى بعض. مترددين. خائفين. ثم تقدم أحدهم. أخرج ورقة قديمة. وضعها على المكتب.

"قبل خمس عشرة سنة... كان هناك رجل. اسمه جود."

"جود؟"

"جود . كان يريد الانضمام إلى الإمبراطورية. كان شابًا. طموحًا. لكننا... اتهمناه بالكذب. قلنا إنه سرق. إنه خائن."

"وما علاقتي بهذا؟"

"أنت... لم تكن تعرف. لم تشارك.

كنا نحن. كنا نعمل تحت البارون. كنا

نظن أننا نحمي الإمبراطورية."

"وماذا حدث له؟"

"اختفى. الجميع ظن أنه مات."

نظر رايان إلى الورقة. قرأها. عيناه

ضاقتا.

"هذه أدلة... على أنه كان بريئًا."

"نعم."

"لماذا تخبرونني الآن؟

"لأنه عاد."

صمت. عميق. الرعد هدر خارج

النافذة.

"من عاد؟"

"جود. لقد وجدنا. في حانة تحت

الأرض. يرتدي قناعًا. قال لنا... إننا

سنأتي إليك ونعترف. أو سيدمرنا."

وقف رايان. مشى حول المكتب.

عيناه كانتا تقدحان.

"أين هو الآن؟"

"لا نعرف. لكنه قال إنه سيعود. قريبًا."

"وماذا يريد؟"

"العدالة. الانتقام. ربما... الاثنين."

ساد الصمت.

ثم قال رايان بصوت خفيض:

"اتركوني."

"سيدي..."

"اتركوني!"

خرجوا. وبقي رايان وحيدًا. الورقة في يده. المطر على النافذة. الماضي يعود.

فتح درجًا. أخرج صورة قديمة. لشاب بعينين عسليتين. صورة لم يرها منذ زمن.

"جود..."

ثم كتب رسالة. قصيرة. وأرسلها إلى لين.

"لين... الماضي لم ينتهِ بعد.

هناك من عاد.

اسمه جود الحمصي.

وأظن... أنه قادم."

في تلك الليلة، في غرفة في قلب المدينة، كان رجل يجلس أمام مرآة. القناع الأسود على الطاولة. وجهه... كان وجهًا وسيمًا. لكنه مليء بالندوب. ندوب صغيرة. قديمة. آثار ظلم قديم.

نظر إلى المرآة. إلى وجهه. إلى الندوب.

" جود الحمصي..."

همس باسمه.

"لقد نسوك. احتقروك. وصفوك بالكذاب."

ثم ابتسم. ابتسامة باردة. مرة. كابتسامة البارون في الماضي.

"لكنهم سيعرفون. قريبًا... سيعرفون من أنت حقًا."

وقف. ارتدى القناع. وفتح النافذة. المطر كان لا يزال يهطل.

"الوريث... سأنتظرك. وعندما

نلتقي... ستعرف أن هناك من هو

أكثر من مجرد شبح."

ثم اختفى في الظلام.

وفي الأفق، كانت السماء تبرق.

والعاصفة... كانت تقترب.

خاتمة المؤلف

هكذا تنتهي قصة "الوريث والمنتقم" . ليس
بنهاية. بل ببداية جديدة. لأن الانتقام...
ليس نهاية. بل وعد.
جود ليس مجرد رجل. إنه فكرة. فكرة أن
الظلم لا يموت. وأن الحقيقة... قد تتأخر.
لكنها لا تغيب.

شكراً لقراءتكم.

مع تحياتي: ايهم بسام فاعور
الملقب(جود الحمصي)

قواعد و اقتباسات من الرواية

قواعد البارون الأربع

القاعدة الأولى:

"لا تثق بأحد. ولا حتى بنفسك."

في براغ، قبل عشر سنوات.

القاعدة الثانية:

"لا تحب أبدًا. الحب... هو الجرح الذي لا يلتئم."

على جسر تشارلز، في مواجهة منتصف الليل.

القاعدة الثالثة:

"في النهاية... أنت وحدك. دائمًا."

في الغابة خارج براغ، عندما قدم المسدس برصاصة واحدة.

القاعدة الرابعة (الأخيرة، التي لم تُقَل حتى النهاية):

"السعادة... هي الثأر الحقيقي. السعادة هي القنبلة الوحيدة التي لا انفجار لها."

في وصية البارون، التي وصلت بعد موته.

اقتباسات الوريث: رايان ولين

(من الفصل التاسع: الغرفة 7)

"كل ندبة قصة. وكل قصة دم. وكل دم... ذكرى."

"لكنك ما زلت هنا."

"هنا... معكِ. لأول مرة... أشعر أن الندوب ليست عقابًا. بل خريطة. خريطة الطريق الذي أوصلني إليكِ."

إعلان الحرية (من الفصل العاشر: الغابة)

"أنا... رايان الموراتي. فقط. لست ابنك. لست وحشك. لست وريثك."

"إذن ماذا أنت؟"

"رجلاً. يحب. ويُحب. وهذا... أقوى من أي إمبراطورية."

منطق القوة (من الفصل الرابع: الدم الأول)

"ليس لكِ حق في شيء. أنتِ هنا لأني أردتكِ هنا."

"إذن أنا سجينتك."

"لا. أنتِ... استثماري."

اعتراف الوريث (من الفصل الثامن: جسر تشارلز)

"أخاف أن أفقدكِ."

"لن تفقدني."

"هو سيحاول."

"وأنا سأبقى."

اقتباسات المنتقم: جود الحمصي

1 . القناع والعدالة (من الفصل العشرين: الوجه خلف القناع)

"أنا الذي وصفتموني بالكذاب. أنا الذي دفنتم حقيقتي حية."

"لماذا عدت إذن؟"

"لأن العدالة... لا تنتهي صلاحيتها."

صوت المنتقم (من الفصل العشرين)

"لا تبحثوا عن وجهي. وجهي مات قبل خمس عشرة سنة. ما ترونه الآن... هو الحقيقة. الحقيقة التي دفنتموها وعادت. لم أنسَ اسمًا. لم أنسَ وجهًا. جئت لأحصل على ما سُرق مني. ليس السلطة. بل العدالة."

اقتباسات البارون: المعلم والعدو

كلماته التي لا تموت.

1 . اعتراف في القصر (من الفصل السابع عشر: إلى الشرق)

"أنا متعب يا رايان. متعب من الكراهية. متعب من الانتقام. أنتما تملكان شيئًا لم أملكه أبدًا. الحب الحقيقي."

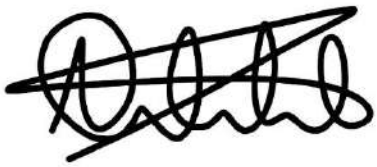

10/6/2026

(لا تثق بأحد حتى بنفسك)

لحظة ولادة أمل، حيث يقف رايان لأول مرة في حياته مذعوراً ليس من عدو، بل من طفلة صغيرة، فتنهار كل جدرانه.

وحملها بين ذراعيه. نظر إليها. إلى أصابعها الصغيرة. إلى أنفها الصغير. إلى عينيها المغلقتين. وفي تلك اللحظة... بكى.

"لين... أنا... لا أعرف كيف أكون أبًا."

"ستتعلم."

"أخاف."

"كلنا نخاف."

"لكن أباك... لم يكن هناك. والبارون... كان ما كان."

"لهذا... ستكون أفضل. لأنك تعرف ما لا يجب أن تكونه."